رشدى الخميرى

فيض خاطر

خواطر

صدرت الطبعة الأولى فى فبراير 2021

بطاقة الكتاب

عنوان المؤلف	فيض خاطر
المؤلف	رشدى الخميرى
التصنيف	خواطر
رقم الإيداع القانونى	4331 - 2021
الترقيم الدولى	978-977-6835-80-1
رقم الإصدار الداخلى	716 الطبعة الأولى فبراير 2021
عدد الصفحات	102 صفحة
تصميم الغلاف	مؤسسة النيل والفرات

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، ولا يحق لأى دارنشر طبع ونشر وتوزيع الكتاب أو ترجمته أو الإقتباس منه أو نشره على النت الا بموافقة كتابية وموثقة من المؤلف

مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع

ثورة مصرية تشرق إبداعاً على الوطن العربي

رئيس مجلس الإدارة

ناجى عبد المنعم

مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع

أسسها الشاعر ناجى عبد المنعم عام 2017

رخصة مزاولة مهنة:58365 – سجل تجاري: – 13242 / 2017 – بطاقة ضريبية: 35—01—572

عضو عامل باتحاد الناشرين المصريين رقم 941 لسنة 2018

هاتف:01011256943 – 01116202218 – 01202541192 تليفاكس:020554372901

nagyegy200064@gmail.com النيل والفرات

alnilwaalfourat@gmail.com alnilwaalfourat

المقر الرئيسي:ج.م.ع محافظة الشرقية – العاشر من رمضان – مجاورة 13 – امام سنتر الـ13 – عقار 304

اهداء

إلى والدي ووالدتي اعترافا بالجميل

إلى عائلتي: زوجتي وأولادي حبّا ووفاء.

إلى كلّ من علّمني حرفا و أنار درب حياتي

إلى كلّ الأصدقاء والأحبّة عشّاق الكلمة والحرف

إلى كلّ من شجّعني من قريب أو من بعيد.

إلى شرفاء هذا الوطن العزيز..

رشدى الخميرى

إلى متى تحتجزونها؟

ها قد أتمّت عدّتها والمفروض أن تتخلّى عن ثوبها الأسود وأن تستعيد حياتها. والمفروض أيضا أن تكون الآن في حلّ من قيودكم وما فرضته عليها طقوسكم الّتي كبّلتها وجعلتها حبيسة ألاعيب من أرادوها كرة يتلاعبون بها ويركلونها إلى كلّ الوجهات ولا جهة صادقة تلتقطها. إلى متى تحتجزونها وقد أتمّت عدّتها والأهل في انتظار زينتها الّتي تليق بها ليزفّوها إلى عريس يليق بمقامها ويحميها من المتلاعبين بقدرها؟ ينتظرها الأهل كي تعود إليهم ويطلقوا سراحها حتّى تختار بنفسها زيجة فينفضّ من حولها كلّ طمّاع عاش على ابتزاز ما ورثته من أجدادها. فهي بما ورثته غنيّة وآن الأوان لتستفيد ممّا أتيح لها لأنّه اغتصب منها بدعاوي "ما أنزل الله بها من سلطان".

سرقوها من بين أيدي أهلها وعقدوا قرانها على أشباه رجال سمحوا لكلّ عربيد أن يقتحم حرمتها ليغنم من مفاتنها غصبا عنها ويدنّس كلّ ما أرادت أن تحتفظ به لعريسها الموعود. لم

يحفظ أحد كرامتها ولم يكترث لما تحمله من موروث يجعل منها أصيلة العفّة والنّقاوة. ما كان يشغلهم سوى صورة خاطئة مرّروها لأهلها فتنطلي عليهم حيلهم ليصفقوا لهم ، وصورة لأسيادهم الزّنادقة حتّى يرضوا عنهم.

أولادها تاهوا فارتحلوا هنا وهناك باحثين عمّن يستعيدها إليهم فيعيشون في كنفها ويستقرّون في أحضانها. كانت تصلهم عنها أصداء أخبار مزيّفة ولا يرون مشهدا قد يطمئنهم فعلا عن حالها. طلبوا منها أن تؤنسهم وتغدق عليهم ممّا يعرفون أنّها تملكه لكن لم يكن بيدها حيلة ولم تكن قادرة على منحهم عيش هم حقيقون به. لم يحصلوا إلاّ على أخبار زائفة لم تكن هي فاعلة فيها. وما نالوا من طلباتهم سوى فتاتاة لم تكن هي لترسلها إلى فلذاة كبدها بل من كان قائما عليها هو الّذي شوّه صورها فبهتت في أعينهم وحبس عطاءها ليصلهم منه القليل القليل ممّا لا يجعلهم سادة قوتهم. ها قد أتمّت عدّتها فأطلقوا سراحها لتعيش بين أهلها وتختار حياتها.

أنا أيضا ابن بلدى

إلى متى يجرفني سيل فلا أقبل أمي بعد ذلك أبدا ؟ إلى متى أتعذب واتبلل و توسخ الأوحال سروالي الذي لا أملك غيره ؟ إلى متى أغني أغنية الحزن و أنا ابن السادسة و السابعة..؟ إلى متى أظل أقاوم الشتاء في طريقي إلى مدرستي البعيدة بينما يركب من هو في مثل سني سيارة تكاد تنزله داخل القسم أو ربما تجلسه على مقعده؟ إلى متى أظل صورة أو شريط فيديو على شاشاتكم و تأتون بعدها بغطاء مزيف وبعض الأكل فتوهموني بأن مشكلتي هي تلك؟ ألم يحن الوقت بعد لتنهض بعض الهمم في هذا البلد فترفع من شأني و تنظر إلي على أني انسان يشعر ولديه طموح مثلكم تماما ؟ ألستم من قال الدرس من حق الجميع..الحماية من حق

الجميع..الخبز الهانئ من حق الجميع..الأمان و الطمأنينة من حق الحميع..؟ ألم تتحدثوا عن الكرامة و العيش الكريم؟ أين الكرامة فيما أعيشه شتاء و صيفا وفي كل فصل؟ أليس لي الحق في اعتلاء مراتب مشرفة في بلدي أم أني كتب علي أن أكون في الحظيظ مهما كانت حظوظي و مهما كانت امكانياتي؟ هل تسطر الحياة حسب مقاييس لا تشملني؟ أقضي يومي في مسافات بين المدرسة و بيتي فانهار ولا يتسنى لي أن أراجع درسي أو حتى أن أستوعب.. حقا فجسمي إما مبتل أو انتابته قشعريرة البرد و العناء فلا أقوى حتى على التنفس بشكل طبيعي و كثيرا ما تذهب الشمس الحارقة بنشاطي فإذا بي جثة في القسم . وبعد كل ذلك يأتي أحدهم و يعلن نتائج الامتحان و أني من بين الذين رسبوا أو من بين الذين تحصلوا عل نتائج متوسطة فلا حق لي تحت رزء هذا الشقاء في جائزة أو حتى ذكر اسمي مع المتفوقين.. هل جربتم أو حتى فكرتم يوما أن تكونوا في مثل وضعي فتعرفون ما أعني؟ قد أتحامل على نفسي و أجتهد فأنجح نجاحا لم يكن في حسبانكم فهذا ليس لكم فيه أي جهد بل هو جهد أبي الذي دربني على أن أكون صلبا و أعارك الطبيعة مهما قست و هو أيضا جهد أمي التي تعمل ليلا نهارا في المزارع و الضيعات و قد تعود بعد مضيها إلى العمل و قد لا تعود فالمسافات التي تسلكها وعرة و بعيدة.و لا أنسى طبعا جهد من أقبل جبينه ويده صباحا مساء و لا أفيه حقه وهو معلمي.. علمني والداي أيضا أن أفتك حظي و لا أنتظره من يد أحد..علماني الصبر على المحن حتى وإن كنت صغيرا على فهمها أو تحملها إنما كل ما أعيشه في عائلتي درس يحملني على التشبث بما أريد و هكذا

أنجح وقد أفاجئ الجميع. لكن لا تأتوا بعد نجاحي و تجعلوني قصة من تصميمكم و نتيجة لجهود بذلتموها من أجلي..لا تجعلوني أكره أني انتسبت لبلدي وهي عزيزة على قلبي كما هو حال أمي و أبي. لا تفقدوني الثقة في أن البلد لها رجال منشغلون بهمومها و بحل مشاكلها مهما صعبت..تعلمت من بيتي و التفافة العائلة حول إناء واحد للأكل أن أتشارك الحب و البسمة و الكلمة الطيبة مع من حول المائدة فلا تجعلوني أكره ما تعلمت..فبلدي في حاجة لمن تعلموا الجلوس على مائدة واحدة الكل من حولها له كلمة و طرفة و رأي و الكل من حولها يتفاعلون مع بعضهم و مع غيرهم ..فيحصل الانسجام وتحصل الفائدة و لا مجاملة أو محاباة لهذا على ذاك لأن ما في الآنية يجمعنا كلنا و البيت الذي فيه المائدة يأوينا كلنا ..أنا ابن بلدي كما هو شأنكم و لا فرق بيني و بينكم في شأنها وخيرها..

خواطر

جلس منفردا في مقهى كان قد عرف فيها أصحابا وأحبابا وما عاد الآن يراهم ولا يسمع عنهم. رابض بكرسيّه يتأمّل بقايا سجارته وما تبقّى من قهوته وسرح بذهنه في ماض كان بكلّ تفاصيله جميلا جدّا برغم ما اعتراه من ظلمات وكان سعيدا برغم ما تخلّله من هزّات كان سببها خارجا عن نطاق المجموعة. كان يتألّم من وحدته وبعده عمّن جمعته بهم الحياة وهي الّتي بعد ذلك فرّقتهم. كان يتذكّر يوم تعلّم التّدخين مع أصحابه وكانوا بذلك يتمثّلون المتحرّرين والمثقّفين وأناسا وقفوا على منابر السّياسة والعلم فيجلبون حولهم النّاس بفخامة صوتهم ورجاحة عقولهم أو هكذا تخيّلوا الأمر عندما مسكوا أوّل سجارة. كانوا شبابا يتشاركون سجارة وقهوة وتمتدّ يد أحدهم في كلّ مرّة ليدفع ثمن المشروب أو ثمن السّجارة الّتي دخّنوها ولا تفرّقهم الحسابات الضّيّقة بل عل العكس كانت توحّدهم فكلّ منهم كان يعرف أدقّ التّفاصيل عن الآخر. تقاسموا الألم والفرحة والبسمة وكنت تراهم ملتحمين في السّراء والضّراء ولا يمكن أن تخترقهم الدّخيلة ولا يمكن أن تفرّق جمعهم قوّة مهما تضاخمت. راح يتساءل أو قل يسأل قهوته وسجارته ما الّذي حدث فغيّر المشهد برمّته؟ أين ذهبت صحبة ذلك الزّمان في حين لم يتغيّر المكان؟ هل العيب في النّاس أم في الصّحبة؟ هل العيب في هذا

الزّمان أم في ناس هذا الزّمان؟ ثمّ يستدرك ليسحب تساؤلاته كلّها فما عاد يوليها أحد قيمة ولم تعد في حسبانهم أبدا. المصلحة الخاصّة ودون ذلك هراء وصبّ الماء على الرّمال. ثمّ يعود ليسأل طاولته" ألم نلتفّ حولك في أحزاننا وأفراحنا ولا نفترق إلاّ والكلّ قد استعاد ثقته في المستقبل؟ ألم نتدارس أوضاعنا خفية وعلنا واحتفظت بذاكرتنا حتّى لا ننسى شيئا ممّا جمعنا؟ هل أصاب القوم فيروسا فقلب المفاهيم على عقبها ليستبدلوا ما تعاقدوا عليه بما دسّ لهم في أطعمتهم وشرابهم الجديد؟ أم أنّني كنت أحلم وها أنا أستفيق على واقع مرير كنت أتهرّب من العيش فيه لأنّه مؤلم ومحبط؟ " ثمّ يسحب سجارة أخرى ويشعلها فيدخّنها وكأنّه يستعيد وعيه أو كأنّه يريد أن ينتقل إلى موضوع آخر قد توحي به تلك السّجارة. يحرّك رأسه يمنة ويسرة مع ابتسامة مصطنعة يريد من خلاله رفض ما وصل إليه من أنّه كان يحلم. فقد عاش أوضاعا صعبة جدّا ولم يتخطّاها إلاّ بالتفاف أصحابه حوله ومناصرتهم له. وقد عاش الفرحة والسّعادة رغم قصرها لكنّه تشارك فيها مع أصحاب له فباتت أكثر وقعا على قلبه وشعوره. تذكّر أنّه أخطأ فوجد إلى جانبه صادقين فوجّهوه ليصحّح مساراته. تذكّر أنّه أصاب في العديد من المواقع فإذا بمن حوله يؤازرونه ويثبّتونه على ذلك. هل كان ذلك محض حلم؟ هل كان ذلك فلما شاهده فأراد أن يعيشه في واقعه فصار يتوقّعه حقيقة؟ ها هو اليوم لا يجد ثمن قهوة ولا ثمن سجارة، من الّذي سيدفع ثمنها بدلا عنه وقد كان في الماضي لا يحتسب لذلك حسابا لأنّه وقتها سيجد من سيسدّد المبلغ عوضا عنه ودون أن يحتاج إلى كثير من السّؤال. غابت

عنه الحلول وأقرّ في داخله أنّ حال الدّنيا انقلب إلى الضّدّ. واعترف أخيرا أنّ المثيرات الخارجيّة والواقع المعيش فرض على النّاس التّباعد والجري وراء المصالح الخاصّة دون الالتفات إلى غيرهم ممّن كانت تربطهم علاقات تعاون وتآزر وحبّ الحياة. اعترف أنّ المدراء الجدد وجّهوا النّاس وقد يكون هو منهم إلى نمط عيش جديد قد تصعب فيه إقامة علاقات صادقة كالّتي كانت في الماضي. ثمّ انتهى إلى أنّ تلك العلاقات القديمة تأسّست على حبّ التّقارب والتّعاون وهي أيضا منبثقة من حبّ البلد الّذي كان في حاجة للحمة النّاس فيه حتّى يتقدّم. هذه العلاقات لا بدّ ان تندثر حتّى يعيش المدراء وحدهم في رفاهيّة ويعيش بقيّة النّاس في خدمتهم حتّى أولئك الّذين اعتقدوا أنّهم أحسن من البقيّة فما هم إلاّ خدم عند من جنّدهم ضدّنا وأمرهم بتفريقنا. نعم هي" سياسة فرّ ق تسد" بدأت بتفتيت الوطن إلى حزيمات بشريّة لا يمكنها المقاومة والتّصدّي للظّلم وانتهت بتفريق المواطنين إلى فرادى عاجزين حتّى على الجلوس إلى صحبة صادقة. ومع ذلك يسأل صاحبنا " فيمن العيب ؟"

حديث ذو شجون

ظهر عليها الحزن منذ زمن ولكنّها كانت تخفيه في كلّ مرّة ببسمة تتصنّعها. انتظر منها الجميع أن تبوح بما يعكّر صفوها لكنّها كانت تصرّ على التّكتّم كأنّها لا تثق فينا أو كأنّ الأمر ليس بيدها. تحدّث إليها أغلب من يعرفها واستحلفوها أن تفرغ جعبتها عسى ذلك أن يهوّن عليها ما بها فتستريح وتريح محبّيها فواصلت اصرارها على اخفاء ما يجعلها كئيبة فتواصلت حيرة النّاس وتساؤلاتهم. هي تعلم تعلّق النّاس بها وتعرف شغفهم الشّديد بما تحمله لهم من أخبار قد تجعل حياتهم أفضل. خاطبها كبارنا وشيوخنا بلغة غير التي خاطبها بها الآخرون فأدارت عنهم وجهها لأنّها رأت من بينهم من كان يخاتلها ويخاتل النّاس بما أبداه أمامهم في حين أنّه كان يفعل في الخفاء ما يجعله عرضة للاحتقار وعدم الاحترام فواصلت حزنها بل قد تكون بالغت فيه هذه المرّة فكأنّ بعض الّذين تقدّموا لمخاطبتها هم سببا من أسباب غضبها وحزنها. وعلى حين غرّة وفي إحدى اللّيالي نزلت بعض دمعاتها الدّافئة فاستبشر النّاس وهلّلوا لذلك إذ قد تكون دمعاتها تلك بداية الانفراج وقد تنفتح العقدة ونسمع أخبارها المفرحة. تلك الدّمعات كانت بمثابة إعلامها لنا بقمّة غضبها ولأنّها كانت دافئة فهي تفصح عن غليانها وما تستبطنه من حرقة وحسرة على ما تراه وما تسمعه من أولئك المخاتلين والمستغلّين وربّما أرادت أن تبلّغنا أنّها ستتحدّث إلينا عمّا قريب لكنّ حديثها سيكون حزينا ويحمل في طيّاته غضبا وخطابا

موجّها إلى من عبثوا بنا وبمصالحنا وأرواحنا ابتداء بأولئك الّذين لبسوا جبّة الشّيوخ وراحوا يخاطبونها بلغة كانت ستكون مصدر سعادتنا وسعادتها لو كانت نابعة من قلوب صادقة وأيادي نظيفة. رجعت من الغد لتسفر عن بسمة مصطنعة لكنّ جبينها كان مقطّبا ففهمنا أنّها لازالت مصرّة على المناورة وإظهار ما لا تبطن وعاد السّادة أو الشّيوخ كما يحلو لهم أن نلقّبهم ليتملّقوها ويستعطفوها أن تحادثهم وعمدوا في ذلك إلى تقمّص دور أحبّاء الفقراء والطّبيعة والأطفال. لم تنطل عليها الحيلة طبعا لكنّ ذكرهم للأطفال والحيوان والطّبيعة ذكّرها بحاجتهم إليها ولحديثها معهم فبدأت تؤصّل لخطاب قريب يجتمع حوله النّاس والطّبيعة والحيوان ولكنّ هذا الخطاب سيكون خاصّا بمحبّيها وحبّا فيهم وليس نزولا عند رغبة المتسلّقين والمخاتلين. وكان ذلك في أحد الأيّام مع بداية اللّيل ونهاية النّهار. نزل خطابها خفيفا متدحرجا كأنّه إحماء لبقيّة الخطاب أو هو مدخل للحديث عسى ذلك يستقطب كلّ من يهمّه الأمر. ثمّ صار الحديث أكثر حماسة ومعه اشتدّت غزارة الدّموع لتمسح على جبين الأشجار وتلاطفها وتروي عطش تربتنا وتزيل عنها ما علق بها من أدران شوّهتها. كان حديثا شيّقا رغم قصره تناغمت فيه مشاعر النّاس والطّبيعة والحيوان. نعم تحدّثت الأمطار مع محبيّها وبشّرتهم بالعودة ومواصلة التّناغم لكنّها بلّغت أنّ البلد في حاجة لمن يحبّها كي تستقيم العلاقة بينها وبينهم. بلّغت أنّها نزلت لتلاقي أحبّتها وليس لها رغبة في التّواصل مع من استغلّها واستغلّ البلد. بلّغت أيضا أنّها ستعود لزيارتنا كلّما اشتقنا لها وستحدّثنا مباشرة وبدون واسطة غير مرغوب فيها...

أين ما تعلّمناه ؟

كنّا ونحن صغارا نجتمع حول الجدّة أو الجدّ فنستمع إلى قصص وخرافات كنّا نتعلّم الكثير . كان هدف الأجداد وهم يروون تلك القصص والخرافات شدّ انتباهنا ومشاركتهم السّهرة كي لا ننام باكرا فنتركهم وحدهم من جهة ومن جهة أخرى كان هدفهم تمرير قيم ودروس عبر بطل القصّة او الخرافة. كان الهدف أيضا جمع أفراد العائلة وبعث روح الألفة بينهم من خلال التفافهم حول الجدّة او الجدّ فحول الأجداد هناك الإخوة وأبناء العمومة والعمّات وأبناء الأخوال والخالات وفي بعض الأحيان هناك من الجيران ممّن ربطت بينهم وبيننا علاقات جيّدة ووجودهم بيننا في تلك اللّحظات هو مثل وجودهم في بيتهم إذ أنّ أجدادنا كانوا يعاملونهم كما عاملونا ويبعثون فيهم كما بعثوا فينا قيما وخصالا . ومن لم يحضر معنا في جلستنا تلك فهو حاضر في جلسة أخرى ويتعلّم فيها ما تعلّمناه نحن في جلستنا وكأنّ ذلك كان اتفاقا بين الأجداد فيقوم كلّ جدّ أو جدّة بدوره في محيطه ليصيب ما اتّفقوا عليه. ما كان يقوله الأجداد كنّا نصدّقه ونتمثّله في سلوكاتنا ونتبنّاه في خصالنا. فكنّا نتساند ونتعاون في الأفراح والأتراح. وكنت ترى التّضحية في سبيل الآخر دون أن يكون هناك غاية أو هدف رخيص من وراء ذلك. كنت ترى الاحترام المتبادل بين الصّغير والكبير ولا نفاق يتخلّل تلك

العلاقات ما عدى ما شذّ فلم ولن نقيس عليه. في ذلك الزّمان كانت عقولنا الصّغيرة تصدّق حكايات الجدّ أو الجدّة وكنت ترانا نتداولها من الغد وربّما نكتبها في انتاجنا الكتابيّ بالمدرسة لنبهر المعلّم بما "نعرف" لأنّ أجدادنا يتّخذونها أمثلة في كلامهم اليوميّ فكنت تسمع مثلا " كما فعل علي ابن السّلطان مع الغول" أو " كما فعل ذلك الشّبح عندما....." . المهمّ أنّنا تعلّمنا منهم الكثير وأحببنا العمل بفضل ما اورثونا إيّاه وتعلّمنا الصّدق والأمانة وتعلّمنا الشّجاعة والتّسامح. لم نختر أجدادنا ولا آباءنا ولا حتّى جيراننا ولكن هم اختاروا أن يكونوا لنا قادة ومربّين وحماة فلم يبخلوا عنّا بما قد يجعلنا عائلة واحدة. لم يتقاعسوا في تبليغ القيم الأصيلة ولو للجيران. الأجداد كان همّهم الأوّل والأخير إرضاء ضمائرهم الحيّة رغم أنّنا كنّا صغارا ويعرفون هم أنّنا لن نستطيع لومهم على تفريطهم في هذا او ذاك من الأدوار، لكنّهم كانوا يعرفون أنّ لهم ضمائر حيّة وكانوا يولون للتّاريخ من بعدهم اهتماما كبيرا. ما فعله الأجداد هي حيل أو طرق تربويّة لصنع مستقبل للبلد. كبرنا فتغيّرنا وتغيّرت معنا الحياة وأساليب العيش فيها فتشتّتنا هنا وهناك نطبّق ما كبرنا عليه لكن كان لا بدّ من قائد لسفينتنا ليعوّض دور الجدّ في العائلة سابقا. وبما أنّنا كبرنا أصبحنا نقرّر ونختار من يقودنا ومن يسهّل علينا الحياة. أصبحنا نفكّر ونقيّم وكلّ من نختاره كان من أجل قيادتنا إلى تحقيق ما تعلّمناه من أجدادنا وربّما قد نتفتّح معه على الجديد ممّا قد يعزّز رغبتنا في الحياة وجعل النّاس من حولنا يحبّونها. اخترنا من يتولّى أمرنا ليواصل جمعنا على حبّ البلد..حبّ العمل والتّفاني فيه..حبّنا لبعضنا البعض..حبّنا للآخر

واحترامه كما يحترمنا. فهل هذا ما نحن عليه اليوم فعلا؟ حيل الأمس كانت تنطلي علينا فصدّقناها لكنّها صنعت منّا رجالا ونساء يحبّون البلد ويفتدونه بالغالي والنّفيس وانظر حولك لترى ذلك واقعا لامسناه بالأمس القريب. هل ما نراه اليوم وما نسمعه من خطابات ، يجمعنا؟ هل ما يعيشه كلّ فرد منّا يسمح له بالتّفكير في الآخر دون أن يتمنّى الفوز بغنيمة منه ومن غيره؟ هل لازلنا على عهدنا بحبّ العمل من أجلنا ومن أجل البلد؟ هل تنطلي علينا حيل اليوم فتردّ لنا ثقتنا في أنفسنا وفي من ولّيناه أمرنا؟ لن أجيب على هذه الأسئلة ولكنّي لا أظنّ أنّ أحدا من الّذين تربّوا على أيدي أجدّادهم أو جدّاتهم سيجد نفسه في غمار ما نعيشه اليوم. بل سيجد نفسه غريبا وبعيدا كلّ البعد عمّا تعلّمه واقتنع به. سيتساءل كثيرا وستتبعثر أوراقه وتختلّ موازينه بحيث لن يفهم ولن يستقرّ على أمر. هل تعلّمنا لنترك كلّ ذلك جانبا ونبحث عن دروس جديدة ؟ هل ولدتنا أمّهاتنا وفرحت بنا ونحن نكبر أمامهنّ لنموت عندما حان وقت افتخارها بنا؟ هل تعلّمنا حبّ العمل من أجل البلد ليأتي من يفول لنا قد أخطأتم وأخطأ أجدادكم؟ لن تنطلي علينا حيل اليوم. فهي حيل لا تجمعنا. لن تنطلي علينا خرافات اليوم فهي تصنع منّا أرقاما لا قيمة لها سوف تدرج بمجرّد أن تقضى بها بعض الشّؤون وهي شؤون لا تفيد المجموعة ولو بخصلة شعر. وأخيرا لن تغمرنا الأضواء ولا الضّوضاء لنصدّق هذه الخرافات الجديدة .

لا تبعثروا العائلة

تتمزّق أحشاء الأرض فتسمح لجذور الأشجار بأن تتمدّد بل و تحيطها بكلّ ما أوتيت من حنان وتغدق عليها من لحمها لتكتسي وتتغذّى وتنمو ...تشتدّ الجذور فتتمدّد أكثر وتمتصّ أكثر من جسم من آواها و احتضنها وكلّما طال الزّمن زادت الأرض من جهدها و أعطت من حياتها وعمرها للنّباتات على اختلاف أنواعها .فكما أعطت للأشجار أعطت للأزهار و للعشب وللشّوك الذي هو بدوره نبت من رحم الأرض وتغذّى من أديمها..تستهويك القصّة فتتساءل لم كلّ هذا والحال أنّ الأرض تعطي وقد لا تأخذ شيئا و قد تتأذّى في بعض الحالات من هذا العطاء المطّرد..ويحدث ان تقحل التّربة لسبب خارج عن ارادتها فنصبّ عليها جام غضبنا و نسبّها وهي الّتي ما بخلت عنّا بشيء..غريب أمرنا ..

يأتي المربّي فيعطي هو أيضا متعلّما من الأرض وهو الّذي درس عنها واستفاد من ذلك ليعطي من وقته و حياته ويفنى في تقديم الغالي والنّفيس وقد يلبس جبة الامّ والأب و الصّديق ليمرّر لمنظوريه كلّ ما يلزمهم ليكونوا في صدارة مستقبل البلد و يحتلّون مراتب تسمح لهم بدورهم ان يقودوا البلد إلى صفاء سمائها وخلوّ سبيلها من العثرات والشّوائب المعيقة للتّقدّم ..نتيجة المخاض الّذي يحصل في المدرسة والمعهد هو ربيع

جمع المحامي والطّبيب تحت خيمة عائلة واحدة كما يحصل في الأرض أن تنتج زهرا وغلالا و...والمثال ينسحب على الأمّ فمخاضها ينتج بنتا أو ولدا او حتّى توأما أو ربّما توائم. لكن حذار قد يأتي المولود مشوّها .ليس لأنّ الأمّ أرادت ذلك أو فعلت في ذلك إنّما المثير الخارجي أو المؤثّرات الخارجيّة أونقص تغذية او...أو....هي الّتي أثّرت رأسا في الجنين فهو يتأثر بما يؤثّر في أمّه فيولد الطّفل مشوّها أو مريضا أو يولد في حلة طبيعيّة أو حتّى ذا مؤهّلات لم يحز عليها غيره ..نسوق هذا المثال ليحيلنا على ما يتعرّض له المربّي في مؤسّسته وخاجها ممّا يؤثّر سلبا على رؤية المتعلّم للمربّي بصفة عامّة. فإمّا أنّه سيثور عليه أو أنّه سيتفاعل معه إيجابيّا فيكره المجتمع ويثور عليه وفي كلتا الحالتين نحن إزاء ولادة مشوهّة لا تصنع ربيع المجتمع. أقول في الأخير المربّي والمتعلّم عائلة لها أسرارها .أتركوا أسرار العائلة للعائلة واهتمّوا بما يطوّر هذه العائلة ويمكّنها من تحقيق غاياتها النّبيلة ..

ينتظرون نزول الثلج ليبرزوا إنسانيّتهم

تظلّ منسية متروكة لتذهب هي وربّها يحاربان. ويظلّ المتفرّجون من حولها ينتظرون إمّا سقوطها أو ربّما فوزها. ويظلّ القوم من حولها يتزيّنون بها في صورهم وملفّاتهم الّتي سيدلون بها لمن "يهمّهم الأمر". وصورهم تحمل في الحقيقة إذلالها وتقزيمها وهي الّتي درّت عليهم بما تستطيع وأكثر، وهي الّتي حمتهم وصدّت عنهم كلّ مكروه وتحمّلت كلّ العواقب بمفردها بل أكثر من ذلك فقد هجرها وتنكّر لها كلّ الّذين حمتهم. ثمّ يزورونها ليس للإطمئنان عليها ومجازاتها على ما تقدّمه لهم وما قدّمته دائما وأبدا.. وليس لشكرها.. وليس لتضميد جراحها. بل يزورونها ليلتقطوا معها صور أحزانها وبؤسها ثمّ ينشرونها على صفحاتهم ودفاترهم فيعتقد كلّ من رأى هذه الصّور أنّ أولئك الزّائرين وقفوا إلى جانبها وقت محنتها. يرمون إليها بعض الفتاة الّتي تذلّها ولا تعلي من شأنها. يصوّرون جراحها وآلامها ويذيّلون صورهم بعبارات حزن ورثاء ليسجّلوا حضورا زائفا إلى جانبها. تحترق المسكينة صيفا وتتجمّد شتاء وتتعرّى خريفا وتلبس ثيابا تنير وجهها في الرّبيع وتمسح ما علا وجهها من بؤس وألم ، ثياب في الحقيقة هي من نعم الرّحمان عليها ولم ينعم بها عليها أحد . ولأنّها جميلة فأيّ لباس تضعه يزيد من جمالها حتّى وهي محترقة أو حتّى وهي متجمّدة فالقوم يهرعون ليسجّلوا حضورهم من كلّ صوب وحدب حتّى يقال أنّهم هم من

ساهموا في ذلك الجمال.. وحتّى يقال أنّ المسكينة محاطة بمن يحبّها ويرعى شأنها، والحقيقة أنّهم أتوا ليتجمّلوا بها ثمّ إذا ما قضوا شأنهم ذهبوا في حال سبيلهم وأداروا لها ظهورهم وباتت " نسيا منسيّا " ومجرّد رقم دخل حسابات يعرفها أهلها ثمّ تسقط بتقادم الزّمن. اثناء التقاط الصّور ، تقف المسكينة وقفة الشّموخ والعزّة ولا تظهر ما بها وما تشعر به فعلا حتّى لا تخذل المتخاتلون بها وهي تعرف كنههم وغاياتهم ورغم ذلك تواصل من رفع شأنهم في الصّورة حتّى لا يشعروا بانتكاسة أو خذلان وهم يريدون التّباهي والتّظاهر. يسألونها "لماذا لم تكشفي حقيقتهم ؟ " فتجيب " لقد كشفوا حقيقتهم بأنفسهم عندما وقفوا بجانبي ليلتقطوا صورهم ولا داعي لمزيد من الكلام في شأنهم " . ثمّ تتواصل حكاية عين دراهم وكلّ المدن المحرومة والمتروكة كلّ سنة وعلى مدى ازمنة متعاقبة ويظلّ المتربّصون ينتظرون نزول الثّلج واندلاع الحرائق ليبرزوا انسانيّتهم الزّائفة والمخاتلة عبر صور لا ولن أحترمها..

صورة

تذكّرت ألعاب الصّغر بينما كنت أراقب السّحب البيضاء من شرفة بيتي. تذكّرت عندما كنت طفلا مع من هم في مثل سنّي في ذلك الوقت ننظر إلى السّحب في السّماء فنتخيّل صورا لأشخاص نعرفهم أو لحيوانات نشتبه أنّنا رأينا رسومها على السّحب. وكنّا نتبارى حول من يرينا صورة جمل في الصّحراء أو صورة أمّ ترضع ابنها.. أو.. أو.. ثمّ نضحك أحيانا وأحيانا أخرى نسلّم بأنّها صور حقيقيّة ونحاول أن نقنع بها الآخرين فنحاول تبصيرهم بما تصوّرناه صحيحا فنوجّه نظرهم بإصبعنا إلى ذلك الشّكل أو إلى آخر دونه لنبيّن أنّنا على حقّ. كان خيالنا يسبح بنا في عدّة صور ومشاهد لكنّها تبقى مرتبطة بخيالنا البسيط والسّاذج الّذي حدّده سنّنا آنذاك وعفويّتنا في التّعامل مع المحيط...

قد يكون ذلك الطّفل مازال حيّا في داخلي وفي تفكيري وأحاسيسي كلّما ألمّ بي شيء يضجرني أو يجعلني في مزاج سيّء فانحبس في طفولتي أو أعود إليها متعمّدا لأرى ما لا يراه غيري لكنّ الحقيقة هو هروب من الواقع أو إطلالة عليه من مكان آخر. هذه اللّيلة وأنا في شرفة منزلي كنت طفلا بجسد رجل وكنت رجلا بخيال طفل وكان ذلك الطّفل يسبح بخياله مع كلّ الموجودات من حوله فيصوغها حسب حاجته أو وضعيّته

النّفسيّة والموضوعيّة وتسرقه رؤاه من مكانه وزمانه. أخذت أراقب سحبا بيضاء تنوّعت واختلفت فأوحت لي بالكثير. رأيت كلّ الّذين أفتقدههم بل وأرسلت إليهم تحيّاتي وبادلوني التّحيّات فشعرت فعلا وكأنّي أصافحهم وأسألهم عن أحوالهم فأتلقّى الإجابة وأجيب عن تساؤلاتهم. رأيتني أشاهد صور بلدي وأجوبها من خلال صورها المارّة تحت الغيمات. سرحت فبتّ كمن ركب تلك السّحابة وراح يراقب من عليائه كلّ المشاهد الّتي تصعب رؤيتها من حيث وقفت في شرفتي. شاهدت المرض وحشا يلتهم القويّ والضّعيف لأنّه استفحل بعد غياب أهل العلم عن الدّيار فقد هجروها لأنّهم لم يجدوا بين أيديهم ما يؤهلّهم لمجابهة المصائب الصّحيّة المتراكمة. هجروا البلد واستقرّوا بعيدا عنها لأنّهم درسوا وتعلّموا وبذلوا كلّ الجهد واستعدّوا ليقدّموا كلّ ما في وسعهم لكنّهم لم يتوصّلوا فالمصاب كبير وما بأيديهم لا يسمح لهم بأيّ فعل جديّ وصائب فرحلوا. رحلوا لا لأنّهم لا يعرفون كيف يصارعون الأمراض بل لأنّه أستهين بهم في بلدهم الّذي يحبّونه وها البلد تستأجر غيرهم وتستأمنهم على حياتنا والأجدر أن تستأجر أبناءها. ومرّت السّحابة فوق أحياء تهرّمت بنيانها وتصدّعت طرقاتها وانبثق الماء من كلّ الفجوات فعكّر صفوى المارّة وعوض أن يروي النّاس فقد كان مصدر اشمئزاز ومرض وأوساخ وبات القوم يتألّمون ممّا يلاقونه يوميّا في ذهابهم وإيّابهم ويخافون نزول المطر عوض أن يترقّبوها لتدرّ عليهم من خيرها. وتواصلت رحلتي فإذا بي أشاهد أسواق بلدي وقد امتلأت بما لذّ وطاب وبصنوف من البضاعة المعروضة هدرا. أقول هدرا لأنّه قلّ ما ترى قفّة قد امتلأت ودفع

صاحبها ثمن ما اشترى أمّا بقيّة القفاف فقد اكتفت بما يسدّ الرّمق أو بالكاد يسدّه وعلى جنبات الطّريق امتدّت أيادي مرتعشة في حياء تطلب العون والمساعدة فوراءها أفواه يبس فيها الرّيق وخويت بطون وانطبقت وتدلّت الجلود الّتي تواريها. رأيت أطفالا مشرّدين بحثوا في الأزقّة والثّنايا عن أهلهم ولم يعرفوا أنّهم هم أيضا شرّدتهم يد الغدر فباتوا أغرابا في ديارهم أو ماتوا تحت انقاض بيوتهم المهدّمة من جرّاء حروب لا ناقة لهم فيها ولا جمل. لك الله يا بلدي ولكم الله يا إخوتي فحتّى الصّاحب والأخ مدّ يده ليصافح العدوّ ويتعاقد معه وما فكّر لحظة أنّ الدّور آت عليه ليذوق وبال تفكيره في مصلحة خاصّة ضيّقة. تنقّلت بي السّحابة حيث رأيت فروق شاسعة بين فقير بائس يقضي ليله ونهاره باحثا عمّا يبقيه حيّا فقط وبين آخر ينعم في الخير بل ويبدّده هنا وهناك ولا يصل به حبيبه واخاه. انتهت جولتي حين حطّت بي السّحابة من حيث أخذتني فوجدتني حزينا أمنّي نفسي بأن يرى النّاس من بني قومي ما رأيت فيشتغلون على تغيير ما يروا في البلد...

أعترف..

أعترف أنّي أنسى كثيرا ولكنّي لا أتناسى أبدا..أعترف أنّي كثير الحياء بيد أنّي لم أكن يوما جبانا. أعترف أنّي أحبّ النّاس وأحبّ لهم كلّ الخير ولست ممّن يتمسّحون الأحذية أو يتملّقون. أعترف أنّي أسعى وأسعى لكنّ الحظّ العاثر يترصّدني أينما وجهّت بوصلتي.. واعترافاتي كثيرة أحصرها في أنّي لم أكن معصوما و لن أكون لكنّي صادق. أعترف لبلدي أنّي ما تخلّيت عنها و لن أتخلّى ولكنّي لست وحدي فكلّ الّذين فيها يقولون ما أقول و أتمنّى أنّ قولنا الصّدق ..ولدت ههنا وترعرعت. تمسّكت بها حتّى نالني ما نلت ولن أكون إلاّ حبيبا لها وهي حبيبتي وحتّى إن فارقت الحياة فجثّتي ستكون ههنا وسينبت منها ما يحكي عن حبّي لها فتضمّني إلى الأبد حتّى لا أحسّ بالبعد عنها و لا بالوحدة. ساظلّ بذرة للحبّ والسّلم تسقيني دموع فقدها لي. أعترف أنّي كرهت ولكن كرهي كان لمن جعل حبيبتي حزينة وجعل أهلها فرقا لا تجمعهم حتّى صلة البلد. جمعتني فيك يا بلدي أحبّة أرجو أنّهم مازالوا على عهدهم بي وبك لأنّي و إيّاهم عزمنا على الاحتفال بك في حيّنا وسنوزّع الفرح على كلّ الأحياء و لن نبخل بالهدايا لأنّك كنت دائما كريمة فزرعت فينا من شيمك ما يبقينا على دربك مهما طال بنا الزّمن. أعترف أنّي أحببت وأحببت كلّ من أحبّك فاجتمعت بهم في كنفك وجلسنا تحت ظلالك

و قطفنا من أزهارك و أهديت لهم من جمالك و حسنك و كرمك ما جعلنا نتقارب و نصرّ على روابطنا مهما باعدتنا المسافات و مهما فعل فينا الزّمن ليربك ثوابتنا وحتّى الخيوط الرّفيعة الّتي مازالت قائمة بيننا والّتي أرادوا لها أن تمّحي طوّقها حبّك يا بلدي وحماها فباتت وثيقة على غير ما أحاكوا لها. أعترف كذلك أنّي بسيط مسالم لكنّي في حبّك جلف متصلّب لا اسمح بذرّة تؤذيك، وقد ينالني الأذى في السّعي لحماك فلن أبالي مادام حضنك هو الّذي سيأويني وسأحظى بكلّ الحصانة بين يديك. اعترف وأسلّم روحي إليك فهل لي إن فارقت الحياة بمكان يأويني في حضنك وبين يديك..

أنا والصّمت

يؤنّبني الصمت.. لماذا تتكلّم ؟ فأجيبه.. ولكنّي مرغم على الكلام..فعينايا تنطقان ..وملامحي تلهج بما لا يطلقه لساني.. ومشاعري تأخذني فأندفع دون تعقّل. وعقلي يقودني إلى مجابهة واقعي فأتعاطف مع نفسي. فكيف لي بتلجيم لساني والحال أنّ كلّ ما أعيشه يحثّني على التّكلّم. يتظاهرون بحبّك يا وطني ويختبئون وراء لفافات قماش رسموا عليها كلمات وصورا لا يتمثّلونها. يتصارعون أيّهم يفوز بمقعد ليسوس النّاس ويقودهم لرفاهيّتهم والحقيقة أنّهم يتسابقون ليكونوا على مقربة من مصدر المال والضّوء الّذي ينير لهم بشاعة صورهم. كأنّ الصّمت جريمة أليس كذلك يا صمتي؟ يتحصّلون على ما أرادوه وأوّل شيء يقومون به هو نسيان وعودهم ..التّنكّر لأولياء نعمتهم ..ملء جيوبهم بما هو ليس لهم في الأصل وليس من حقّهم لأنّهم اختيروا ليصونوا هذا الّذي وضعوه في محافظهم و جيوبهم. أعطوا المال والقرار ليرفعوا الغبن واليأس عن تراب حمل أسماء الجدود ودماءهم. وإذا بذاك التّراب يرتدّ علينا غبارا في أعيننا ذرّوه فيها حتّى لا نرى حقيقة لونه الجديد لأنّه أصبح متعدّد الألوان فبهت لوننا و تهنا نبحث عنه فيما بينها. وذاك التّراب استحال قطنا وضع في آذاننا حتّى لا نسمع أنين الأجداد وصراخهم لأنّهم أحسّوا الدّنس يخترق أجسادهم فاستحال عليهم ايصال شكواهم . ثمّ إنّ تراب الأجداد تلك العهدة الّتي أوكلت لنا لنحفاظ عليها واعتقدنا أنّنا أصبنا حين وثقنا في شعارات من تقدّموا علينا، صرنا نتسوّل لنقف عليه ونأكل فتاة الخبز فوقه فألفينا أنفسنا

غرباء نبحث لنا عن مأوى فيه ونحن أصحاب الملك. أليس الصّمت جريمة يا صمتي؟ فوق تراب الأجداد سرقت مفاتيح كلّ الأبواب المؤدّية إلى غرف الرّاحة والاطمئنان ووقفنا على مفترقات لا يمكننا تحديد مآل أيّ منها فصرنا نضحك ونبكي ونقول الشيء وضدّه في ذات الوقت. شوّشوا على البوصلة الّتي تقود تحرّكنا فتهنا لبعض الوقت ليس لعجز فينا أو لقلّة حيلة عندنا بل لأنّهم سدّوا أمامنا كلّ السّبل المفتوحة نحو فسحات الضّياء و الوضوح وعبروا بنا نحو مطبات الظّلمات والعتمة فكيف لنا أن نرى حقيقتنا؟ .. عبثوا بأوراقنا وحاولوا محو بصمات آبائنا وأجدادنا كي يغيب حقّنا في الميراث. لكنّهم رغم كلّ جهودهم لتضليلنا نسوا أنّ لنا بوصلة لا يمكن مخاتلتها أو تغيير وجهتها. نسوا أنّنا ذوو عزم وعزمنا لا ولا يلين.. نسوا أنّ ما حملناه من ذرّات تراب الأجداد في عظامنا ودمائنا يشدّنا دائما إلى الطّريق ويدلّنا إلى شجرة الزّيتون وواحات النّخيل وخيمة تعوّدنا اللّجوء إليها ولو بعد حين. وغاب عنهم أنّ أقدامنا لا تنفكّ تتحسّس مسارها على أصوات فشلوا في اسكاتها هي أصوات أمّهات يبحثن في صدورهنّ عن حليب يرضعنه لكمشة من الجياع في أحضانهنّ فتصوّب مسارنا وتقودنا في مسيرتنا نحو الضّياء. فشلوا أيضا في اسكات أنين من بات بلا مأوى أعياه السّير حافيا واحترق وجهه من أشعّة الشّمس زمن الحرّ وتجمّد الدّم في عروقه زمن القرّ فيعدّل وجهتنا رغم التّيه وقلّة ذات اليد. غفلوا وهم في نشوة "انتصارهم" عن دماء روت تراب الأجداد وكانت روائحها عالقة بأنوفنا فهي تسحبنا نحوها كلّما تهنا أو نسيناها. تلك هي بوصلتنا وبفضلها لن نتوه ولن تنطلي علينا حيل بعد الآن . ولن نصمت...

ليتني مكثت

أيقنت أنّي متيّم بحبّها منذ بدأت أتهيّأ لفراقها... وما إن زمجر محرّك السّيارة معلنا انطلاق السّفر و بداية النوى حتّى تملّكتني رغبة في النّكوص والعودة إليها...لكن هيهات فقد سبقني الزّمن بمسافة لا يتسنّى لي بعدها إلاّ اجترار الذّكريات... بدأت أتألّم واجترع الحنين .اذ لا تكاد تفارقني ملامحها و أراها في كلّ ما يبلغه مرأى عيني و أصيخ لما تناغم من أصوات في ثناياها من خلال ما يبلغه مسمع أذنيّ...حتّى ملمسي مازال يتحسّس تضاريس قوامها المتعالي...ومن حين لآخر استفيق على ما يشبه صوتها أو عطرها أو بعض ملامحها ممّا يذكّرني بها...هكذا أدركت أنّي أحبّها ...مدينتي الصّغيرة الشامخة ببهاء...عين دراهم.. تتقدّم سيارة الأجرة مبتعدة عن مدينتي، مبتعدة عن ألواني و أشجاري...أتذكّرها فأراني بين أشجارها الباسقة أستظلّها وأستمتع بألوانها فأرسمها في خاطري وعينيّ وأستحيل إلى جزء منها وأنسى...أنساني..وتأخذني الألوان المتناسقة.والأصوات المتناغمة فكأنّي بها الرّبيع دائما وكأنّها اللاّنهاية ..أسعى في الغابة زمنا فلا أمل وتسحبني رغبة جامحة في التقدّم لأنسجم أكثر مع الخضرة في أحلى مظاهرها و مع الطّيور الّتي غرّدت وأنشدت لتشدّني و تستبقيني وتجبرني انغام تسبيحاتها على المكوث ...و يستهويني عزف رقرقة الماء في

الجداول يستعرض كلّ الألحان ... تتلاءم مع خفق قلبي.. وأقف هنا و هناك من الغابة وكأنّها نسيج حكيم ورقيق من الألوان يغمر القلب والعيون...وتخرج تنهيدة طويلة جثمت على صدري لتعيدني إلى السّيارة وحديث في صخب وضجيج ...

تلك هي بلدتي ليس عليك أن تصطنع بروتوكولا أو تستعير لسانا لتجد لك فيها مكانا، يكفيك أن تكون أنت حتّى تصبح واحدا من أهلها الّذين يمثّل الفنّ جبلّة فيهم وطوع أيديهم تصنع من كلّ شيء مهما كان بسيطا تحفة فنيّة .. تشتهي المقام بينهم وترغب في مرافقتهم في جولة تنفذ معها إلى عوالمهم السّاحرة...وتسعى بدون وعي تاركا العنان لساقيك وخيالك .. لتأخذك بين ثنايا المدينة وتسحبك الرّغبة في النّهل من كلّ مجاريها والفوز بكلّ مزيّة فيها ...بسيطة هي مدينتي أي نعم ولكن قد تستجدي من تعاليها الرّضى و القبول...بسيطة هي مدينتي لكنّها تجبرك على التّعلّق بها فتحبّها وتلجأ إليها لترتاح وتهدأ...

أين النّخوة ؟

زرعنا الحبّ أينما حللنا ونفثنا روائح البسمة منذ وطأت اقدامنا ذاكرة الناس.

ورحنا نشارك من عرفنا أفراحهم وأتراحهم علّنا بذلك ننسجم معهم ونلج إلى القلوب فنكون جمعا ولا نتشتّت. تركنا بصمات في كلّ أنحاء المدينة حتّى لا تنسانا وحتّى نعرف طريق العودة إلى أوكارنا بين جمع عشنا معهم وفيهم. وتأتي رياح غريبة عن سمائنا فمحت بصماتنا أو كادت ثمّ حلّت بالمدينة سيول الحقد والكراهية فجرفت ماغرسناه وغرسه النّاس من حولنا من حبّ وفرح فبتنا منبتّين لا نعرف طريق العودة إلى أوكارنا بل وكرنا الّذي جمعنا وبذلنا ما استطعنا من جهود لبنائه. في المدينة ترسبّت أشباحنا فكدنا لا نتعرّف حتّى على بعضنا البعض ولا حتّى أن يتعرّف الواحد منّا على نفسه. وبات تفتيت جمعنا سهلا على من أراد بنا سوءا ومن تربّص بوكرنا ليهدّمه ويشتّت من سكنوه. كلّ من سوّلت له نفسه بيعنا وجد أرضيّة تناسبه واستعان في ذلك بمن جفّت فيه النّخوة . بين صبح وعشيّة تطالعنا أخبار من هنا وهناك لأناس تسلّلو للمدينة واقتطعوا طرفا منها ليزرعوا فيه نباتات غريبة عن أرضنا، وأناس استضافوا من بالأمس القريب شهر سيفه علينا وقتل وجرح وإلى اليوم هو يترصدّنا . هدر دمنا واستبيحت كلّ مقوّماتنا

والغريب في الأمر أنّ الباعة هم في الأصل من بني الدّيار فدمنا هو دمهم وأرواحنا هي أرواحهم لكنّ الشّاري هو نفسه الّذي شهر سيفه على رقابنا. ويستحيل المشهد في وطني إلى متاهة . فكأنّ الأرض قطع مشتّتة والنّاس عشائر غريبة عن بعضها البعض فما يحصل بالقرب منّا وعلى مسافة خطوة عنّا أصبح لا يعنينا والحال أنّ الدّور آت على كلّ "عشيرة " . أين تلك النّخوة ؟ أين الحميّة والهبّة الواحدة ؟ ثمّ أين العقل الّذي يفهم ويصل إلى مرمى من أراد بنا سوءا؟ فليس لسواد عيوننا ولا لجمال خلقنا يتهافت القريب والبعيد على ترابنا. وليس محبّة فينا يتقرّب منّا ويتخاصم من أجلنا المتخاصمون..

حنين

أحنّ إلى ضجيج سوق امتلأ بسلع من بلادي.. وجلبة باعة أحبّوا البلد وراموا ابياع خيراته دون سواها.. ورحلة النّاس بين الخضر والغلال يسومونها ويشترون ما لذّ وطاب رغم الفاقة والحاجة لكلّ ملّيم لكنّهم ينفقون ليعيشوا وتنتعش البلد بما ينفقون فيها. أحنّ إلى رؤية شيخ يترنّح حاملا قفّته وهو بالكاد يقوى على حملها لكنّه سعيد لأنّه سيفرح أهله وخاصّة أحفاده الّذين قد يكونون في انتظار هدايا منه او حلوى من اختياره. وأحنّ إلى إلحاح طفل على أمّه أو أبيه "أريد كجّة وخذروف كي أشارك أصدقائي اللّعب" فيشتريها الأهل لأولادهم رغم أنّهم يعلمون مسبّقا أنّهم سيفقدونها بعد اوّل خروج للّعب خارج المنزل ورغم أنّهم سيوسّخون ثيابهم عندما سيلعبون. أحنّ إلى حياة بسيطة عشناها حلوها ومرّها وتغلّبنا على فقرها وجراحها ومشاكلها لأنّنا أحسسنا ببعضنا وتشاركنا في كلّ شيء... أهو الطّفل فيّا يتكلّم عن هذا كلّه؟ أم هي هلوسة كبار السّن احتاجوا للمعونة ؟ لا..لا هذا ولا ذاك إنّما هي الصّورة الجديدة القاتمة برغم كلّ الغلافات الّتي وضعوها عليها لتلميعها وهي أيضا الأصوات الغريبة على آذاننا برغم التّزويقات والإيضافات الّتي أرادوا بها تغطية النّشازات. نعم هي الأنماط الجديدة للحياة الّتي تجعلنا نحنّ لماض عرفنا فيه قيمة الإنسان وقيمة المجموعة من

حوله. فكم كان جميلا أن نخرج للطّبيعة ومعنا لمجة بسيطة من خبز وبعض السلطة وبيضة مسلوقة في الماء. نتجوّل.. نلعب.. نطرق أيّ باب أمامنا لطلب شربة ماء فتغدق علينا العائلات بأكثر من الماء. وكم كانت الثّقة موجودة وهو الأصل في الأشياء أن نثق ببعضنا. كم ..وكم.. لكنّنا اليوم نتجنّب الاختلاط.

نتجنّب الخروج في جمع فقد يكتشفون ما لنا وما علينا فتصبح دفاترنا على لسان كلّ النّاس وهي ليست تلك النّاس الّتي تحفظ العهد وتحتظن المهموم وتغطّي عن أخطاء غيرها ليس خيفة منهم بل خيفة عليهم. لذلك نحنّ إلى ماضينا. ربّما أنساق وينساق البعض منّا إلى طفل مازال يعيش فينا وهو أمر مطلوب لكي يعود الحنين إلى حبّ النّاس لبعضها البعض وتلقائيّة التّعامل بين الافراد بدون حسابات مسبّقة. وقد ننساق وراء ذكريات شيخ أو كهل لحياة كانت على السّليقة ولم تتخلّلها سياقات جديدة غريبة عن خطّ مستقيم لا انحرافات به إلاّ ما شذّ او ما كان عن طريق الخطإ وليس الإضمار. نعم هو الحنين بكلّ معانيه للماضي .

سفر إلى الوطن

ارهقني السفر ..إلى الوطن..وتألمت من الوطن..تألمت منه ليس لأنه أخطأ في حقي بل لأنني ما أعطيته قدره وما بذلت ما يكفي ليكون في ابهى حلله فتألمت..ووطني أوهمته بالفرح والنقاء والصور الجميلة..حتى المهملات اشعلنا لها نيرانا في كل صوب و حدب لنحيطها و نحاصرها وجمعنا لها الحطب وخلنا اننا اتلفناها الى الأبد.. لكنها برزت من جديد بل و استفحلت ولم تخل منها رقعة في البلد فزاد ألمي وألم من أحب الوطن . كنا عطشى وكنت من أشد الناس عطشا لصورة جميلة في وطني فركضت مع الراكضين و صرخت وهللت لرؤية الرواء قادما على مهل بل و أعددنا لحفظ الماء أواني و جرارا ...لكن الذي كان يبدو ماء كان مجرد سراب صنعه في مخيلتنا العطش للوطن فتهنا في السراب وتداخلت السبل فتهاوينا على الأرض من هول المفاجأة و تفاقم الضمأ...وعادت المهملات لتعمم الفوضى ...وسال الماء على جباهنا حياء من الوطن وحسرة على الصورة التي لم تكتمل...شربنا من ماء اصطناعي وسلمنا أننا ارتوينا وهيا لنبحث عن جديد نرتق به الفجوات فينا حتى العام المقبل او السنين القادمة . بدأنا نسكن جراحنا وما خلفه العطش في حناجرنا و نسينا المهملات لبعض الوقت... لكنها لم تنس ولم تركن للراحة فهي تتكاثر و تمتد في كل آن وحين لتسكن كل

فجوة و نبض حتى لا نقوى عليها . عدنا من حيث خرجنا و عاودنا السفر وقلنا إن السراب لن يخدعنا مرة أخرى ولن نلدغ ثانية من حيث كانت الآلام و اعتقدنا أن من كان إلى جانبنا لن ينضم لمن لدغه ويتركنا في جراحنا وآلامنا فهو منا. كنا في الصف الأول وكانوا في السلال يجهزون العفن والفوضى حين اوقدنا النار لنطهر منهم الوطن ولم نعلم ان المهملات امتدت فسحبت بعض الجمهور اليها ليطفئها ويعيد رسكلتها ليتسنى لها ان تعيش بيننا دون أن ننتبه إليها . لكن لا عليك يا وطني لن تنتظر اكثر مما انتظرت ولن تشقى اكثر مما شقيت . سيبدد النور الظلام وسيأتي الفيضان عوض السراب وزهرة اللوز لن تخدعنا بقدوم الربيع . سنصنع الربيع والصيف وكل الفصول والصورة التي لم تكتمل أوشكت أن يرفع عنها الستار لنتباهى بها ونطلق المهرجان في كل الأرجاء...

سفر

اقتطعت تذكرة سفري وأخذت مكاني حذو نافذة حتّى أستطيع من خلالها أن أتطلّع إلى خارج القطار وأجواره فأستمتع بالجمال والنّور وأمنّي النّفس بما سأناله من خير ما قد سأشاهد وحتّى أتمنّى لبلدي ما قد يجعله بلدا آمنا وسعيدا وأفعل حيال ذلك ما يمليه عليّ واجبي فيتنامى شعوري بالطّمأنينة والانتماء. وجلست قرب النّافذة أيضا لأرى أولادي ومن هم في مثل سنّهم ينعمون بما سنورثهم إيّاه فيتطوّرون ويطوّرون واقعهم ليجابهوا بذلك تحديّات عصرهم فيتتصرون على المصاعب ويتركون لنسلهم ما قد يتفاخرون به بين الأمم. لسوء الحظّ كانت النّافذة الّتي اخترتها ، وكلّ نوافذ القطار بعد، عليها ستائر داكنة لا تسمح لي ولا لغيري أن نرى من خلالها شيئا تقريبا، في حين بإمكان من كان خارج القطار أن يراني ويرى من حولي وبإمكانه أيضا ان يستشرف ما قد نلقى في ما سنلقاه أثناء سفرنا وكأنّ ذاك الّذي خارج القطار يتحكّم في مسارنا أو هو كذلك بحيث أمكنه التّكهّن بما ينتظرنا بل تقرير ذلك. أحسست باختناق كبير وكأنّ أحدهم جثم على صدري ووضع يديه حول رقبتي كي ألفظ أنفاسي. رأيت جلّ المسافرين يلتفتون يمنة ويسرة في بهتة ويتطلّعون في وجوه البقيّة كأنّهم يسألونهم " هل تشعرون كما نشعر؟ " وكنت واحد من الّذين يريدون طرح هذا السّؤال فكادت

الإجابة تكون واضحة على الوجوه " نعم نحن نختنق مثلكم تماما ". أقول جلّ المسافرين ولا أقول كلّهم لأنّ بعض من في القطار هم سببا فيما نحن فيه وبعضهم الآخر كان " طابورا خامسا " جعل القطار الّذي نمتطيه لقمة سائغة لمن يريد توجيهه حيث يريد والتّحكّم في اهتزازاته وسكناته. حاول كلّ واحد منّا أن يجد لنفسه مخرجا أو حلاّ كلّ حسب قدراته وتطلّعاته ورؤيته الّتي ارتأى لنفسه في هذه الرّحلة. فهناك من أغمض عينيه وغطّ في نوم عميق بحيث لن يشعر بأنفاسه تلفظ وبذلك استسلم لواقع قد يكون أسهم فيه من قريب أو من بعيد ولأنّه كذلك فإنّ أغلب هذا القدر سطّرته له أيادي خفيّة وأخرى تعيش بيننا وتقول إنّها ترعانا وتحمينا بفضل ما تقوم به تجاهنا ثمّ إنّ هذا الصّنف من النّاس لم يسع قيد أنملة لتغيير الواقع فتلك ضائقة تفكيره أو هكذا أريد له أن يكون فرضي واستسلم. والصّنف الثّاني من المسافرين أغمض عينيه ليس لينام بل ليمضي في أحلام اليقظة وهي في الحقيقة أمنيات يريد تحقيقها في واقع حاله. هذا الصّنف، عاش طوال حياته على أحلام اليقظة وأوكل أمره لغيره وسلّمهم " شيكا على بياض " وسمح لهم بذلك أن يخطئوا ويصحّحوا كيفما شاءوا ليجد نفسه في نهاية الأمر منقادا بل وأكثر من ذلك فهذا الصّنف بات ينتصر لمن أوكلهم أمرهم ولخياراتهم وكأنّها مسلّمات ومن الغباء مناقشتها. الصّنف الثالث من المسافرين أبقى عينيه مفتوحتين ووقف على أحلامه ينتصر لها بنفسه ويستقطب لها من حوله حتّى يدعّمها ويحصّنها ويضمن لها الانتشار والقوّة بحيث تصبح تلك الأحلام والأفكار هي الأصل والواقع والمقرّر الأساسيّ لمسار القطار والرّحلة

بصفة عامّة. لم يكن ذلك سهلا بطبيعة الحال فالعراقيل تبدأ من اقتطاع التّذاكر ونوعيّتها مرورا بإقناع من استسلم لواقعه -دون السّعي إلى تغييره- بأنّ المصير يقرّره أصحابه وبأنّ الحياة مغالبة والانتصار الحقيقيّ هو عندما نصمد أمام الصّعاب ونترك أثرا في الواقع مهما كانت نتيجة الصراعات الّتي خضناها. بعد ذلك نصل إلى مقارعة حجج من أوكل حياته لغيره دون مناقشة ما قد يفعلون بها وانتهاء بمعارضة أولئك الّذين جثموا على صدورنا وصادروا حقّنا في تقرير مصيرنا ومسار سفرنا. فكرة الصّنف الثّالث من المسافرين تأصّلت من اعتقداه الرّاسخ في حقّ الأمم في تحديد مصيرها بنفسها وبأنّ لا حقّ لأحد في التّدخّل في شؤونها وعليه لا بدّ من مواجهة كلّ من سمح لنفسه أنّ يربك مسيرة أيّ دولة ولا بدّ من رفض أيّ مصادرة لذلك الحقّ. بدأت السّفرة ويستمرّ المشهد على ما هو عليه تضطرم فيه أحلام النّاس وأفكارهم ويتحدّاهم الواقع بما أرسى من عراقيل ومطبّات. خلال الرّحلة، يحدث أن ينسى أو يتناسى المسافرون ما يعانونه من اختناق ومصائب فينصهرون في جوّ من الوئام واللّحمة وتنطلق ضحكات من هنا وهناك وتتوحّد مشاعرهم حول أغنية وقصّة وصورة وكأنّهم أصبحوا يعون أنّ مجابهة أيّ معضلة ليس عملا فرديّا بل هو عمل جماعيّ انتبه له الانسان منذ بدايات التّاريخ فالفرد أصبح قبيلة فعشيرة ف...ف...حتّى أصبحت كلّ دولة بما انبنت عليه من مقوّمات تختصّ بها عن سائر الدّول وهذا لا يمنعها في الاشتراك معها في ما هو إنسانيّ إذ أنّ كلّ أمّة لها سماتها وخصائصا وتبقى هناك خصائص عامّة تشترك فيها الانسانيّة جمعاء. فتعيب

التّصنيفاة ليبرز الهدوء وينسى االمسافرون تلك السّتائر الّتي حجبت عنهم الرّؤية لتتّضح لهم بعض ملامح سفرهم مع بعضهم فيبدأون في إدارة وجهة القطار بعد أن حدّدوا مساره ورسموا لنفسهم مستقرّا ينعمون فيه ببعض الرّاحة. لن تكون بقيّة الرّحلة خالية من المطبّات والصّعاب لكنّ فعل المسافرين في أحداثها سوف يذلّل كلّ العراقيل بل ويجعل السّتائر حصونا تحميهم من التّأثير الخارجيّ فينتبهون إلى ضرورة الالتفاف حول مصير واحد والانتصار له بأيديهم لا بأيادي قد تعبث بهم وتهمّش مسيرتهم..

لن تستمرّي حزينة

تجلسين على حافة الفقر و البؤس و تلبسين من حقائب الشّهداء بعد أن قضوا نحبهم بخنجر الغدر وتستحضرين حكاياتهم و صورهم من ذاكرة النّسيان الّتي أودعت فيها أرقام و بيانات و تسلّت بها الفئران في المكاتب ونسجت عليها العناكب خيوطا ترقّع ما تلف منها . يا زهرة مالت إلى الذّبول تأبى القبلة إلاّ أن ترتسم على خدّك لتذكّرك دائما أنّك لست في طيّ النّسيان ولست من المخطوطات العتيقة الّتي تودع في المتاحف ليقتطع الزّوّار تذكرة لكي يحظوا بصور تذكاريّة معها. أنت لست هامشا تتعبّأ به فراغات مجلاّت و جرائد. أنت حياة جديدة تنتظر هذه البراري والفضاءات المتروكة ونبض بدونه ليس للحياة معنى. تحلمين و في عينيك دمعة و حيرة و غيمة استياء والحال أنّك أنت الحلم المنتظر..أنت قصّة ستروى على مرّ الزّمن كيف لا و أنت تلوّنين ما عتّمته أيادي الغدر. وكيف لا و أنت أيقونة لمعنى التّحدي و الثّبات على العهد بالرّغم من التّقاعس المحيط بك و من تهميش روضتك.

سيتحدّث القاصي و الدّاني عن صمودك وتواصلك رغم غياب السّند و خذلان أهلك و أصحاب الموارد و المدد. صنعت المعجزة ببقائك على قيد الحياة رغم المكائد و الحيل الّتي طوّقتك، وخلعت اللّباس الأسود رغم حزنك و الأسى على فقدك للقريب و للحبيب و من له عليك فضل أو لك عليه فضل فهما سيان في قلبك. أيّتها الحبيبة لا تقلقي ستعمّرين ما حولك من فضاء قد خلا و ستجمعين الأحبّة و يقف الرّجال و النّساء في هبّة لا تهونين بعدها أبدا. دمعتك و دماء أحبّتك روت أرضك وسمحت لكلّ بذرة حبّ فيك ان تينع..و صراخ الثّكالى و اليتامى من حولك أيقظ النّاعسين و من بهم كسل وصدى الصّوت تعالى . حافظت على خضرتك و ألوانك الزّاهية رغم السّحب والألوان المبتدعة و ها هي صورتك تعود و حلمك المرتجى بدأ يجد طريقه ليتحقّق. ستهنئين بمواليد جدد يعوّضون من رحلوا من أحبابك و الأقرباء. بلدي يا حبيبة ستنعمين بقبل الأحبّة من جديد و يأتيك الأوفياء في عشقهم و تنسين حزنك و الأسى..فداك العمر و النّفس الّذي أعطيتنا..

محكمة....

وقفت أمام القاضي كمتهم و لا زلت لا أعرف تهمتي..كل ما أعرفه أني متهم و تهمتي ليست بسيطة..سأودع السجن..وهذا السجن هو قبر يودع فيه كل من تطاول على الحظ..كل شخص مد عنقه إلى أكثر مما أعطي يودع هذا النوع من السجون حتى لا بتجرأ غيره على اتيان ما فعله هو..أمام القاضي كنت ارتعش و العرق يتصبب من جبيني لأني أعرف جيدا ذلك السجن ثم إني لست مذنبا في شيء..وقبل أن يسرد لي القاضي تهمتي و البنود التي بمقتضاها سأحاكم ..طلبت فسحة من الزمن لكي أنفس عن خاطري مما يختلجني و يدمي قلبي..ولأني سأودع ذلك القبر..سمح لي القاضي بالحديث..فقلت..سيدي هذا القبر الذي سأنزل فيه ليس غريبا عني و لست غريبا عنه.. فأخطائي كثيرة وزلاتي لا تغتفر وقد بليت به أكثر من مرة.. سيدي القاضي أنا بسيط واخترت أن أعيش كذلك فلا يهمني من الدنيا سوى أن أستقيم فيها و أقوم ما اعوج إن استطعت ولكني كثير التعثر..أنا ابدع في التعثر و في كل عثرة اسحب إلى السجن لأمكث و أطيل المكوث كنزيل له مقر دائم لا يبارح سجنه إلا في المناسبات..أخطائي هي البساطة و العفوية..أخطائي أني لا أمثل و لا ادعي..لا أستطيع و لا أحبذ ذلك السلوك..لا أراقب مشاعري ..لا أتعلم من الدروس السابقة فأنا أعيش على سجيتي و لا أريد

أن أعامل الناس بجريرة غيرهم..لست ممن يسطرون لمشاعرهم دربا فهي تلقائية كصاحبها..سيدي القاضي حظي عاثر ولم يسعفني أبدا حتى أتجنب سجنكم ..فعلي هو فعل كل الناس من حولي و لكنهم ينجحون و يرتقون و يطالون حاجاتهم و مآربهم في حين أتعثر و أسقط و الأنكى أني أعاقب نفسي بعد كل فشل فأدخل السجن بإرادتي حتى أنتقم من جوارحي التي تأخذني دائما إلى مسارات قد تبدو ملائمة لي في بادئ الأمر ثم يتبين أني أذنبت في حقي و حق غيري ممن جمعتني بهم تلك الدروب ..بعد ذلك أقرر التحكم في مشاعري و عدم السقوط في التلقائية ..ولكني أعود فيتكرر الانزلاق ..يا سيدي اقض بما شئت ولكن هل لعثراتي دواء.؟. هل سجنكم لي لمعاقبتي أم لتأهيلي إلى حياة أفضل و تفكير أعمق؟..وهل أذنبت في أني لم اختر حظي؟هل أسجن في قبر دامس لأني ما استطعت أن أحقق لمشاعري الاستقرار؟.. سيدي القاضي و سيادة المستشار و المدعي بما أنك نفس الشخص ستكون نهايتي بين يدي حكمك فالسجن الذي سأذهب إليه أخذ من عمري الكثير إذ الأمر ليس جديدا بالنسبة لي فكم من محاكمة و كم من تهمة أدت بي إلى هناك و آخرها قضية الحال والتي تابعتم سيدي مجرياتها منذ بدايتها و قد أحطتكم علما حتى لا تتهموني و ها أنا بعد كل ذلك أمثل بين يديكم رغم ما تعلمون فهل التهمة ثابتة ؟ هل نسيتم ؟ و أريد الاشارة إلى أنكم دونتم كل حرف و كل حركة منذ البداية فهل طرأ شيء لا أعلمه ؟ سيدي القاضي اقض بما شئت فقد استوفيت حديثي و أترك أمري بين يدي سماحتكم..

موعد ورسالة

بدأ يتأهّب للسّفر فموعده الخريف.. أراد أن يترك رسالة لأولاده فلم يقدر . تاهت من بين يديه الحروف وهو يرتعش.. يرتعش لأنّه ما عاد يقدر على حمل القلم ولا حتّى تثبيت أوراقه على منضدته الّتي ورثها عن أمّه وأبيه وحدحملت اسمهما ولأنّه خائف على مصير من سيرثونها من بعده. يرتعش لأنّه لا يريد الرّحيل قبل أن تصل الرّسالة و يعهد بها إلى خلفه حتّى تستقيم حياتهم و يكون هو مطمئنّا عليهم. تأوّه وسافر.. وفي الطّريق أخذ نفسا طويلا تحرّكت له أوراق الخريف الّتي خلّفها وراءه لكنّ كلّ واحدة منها دوّنت الخطوة الّتي خطاها فوقها ورسمت أوجاعه وآلامه. كلّ ورقة تلوّنت بلون ظهر به حين مروره بها وافتكّت منه اعترافا وسجلاّ.. سار نحو موعده ومرّ بطفولته صورا

وحروفا وأفعالا ..وتذكّر عندما اشتدّ عوده وبدأ حينها يرتطم بخبايا الحياة و دروبها وكيف كان يستلهم من أبيه وجدّه الّذين حمل عنهما صورا و ذكريات فقط و لكنّه يستحضرهما في جميع أو جلّ ما يجدّ في حياته. ثمّ جاب خاطره بسيرته وهو كهل يربّي النشئ بما في ذلك أولاده ويفعل في تفكيرهم وسلوكهم لأنّه كان يرى فيهم حياته الفارطة والقادمة وكان يريد لهم حياة أحسن ممّا عاشها هو..كان وهو يستحضر ماضيه يقطّب جبينه تارة وتتهلّل أساريره تارة أخرى وكأنّه يعيش أحلاما أو كأنّه يحادث شخصا ما فيتفاعل معه حسب ما يأتي في حديثهما. ثمّ يلتفت من جديد إلى الخلف فإمّا ليستدرك ما فاته أو ليلقي نظرة على ما دوّنته الأوراق الّتي تخطّاها وبذلك يعدّل ما اعوجّ منها أو يضيف ما نقص أو ربّما يوافق على ما سجّلت فيواصل سيره نحو الموعد. ما خطّ على تلك الأوراق كان بمثابة الرّسائل الّتي عجز عن كتابتها بيديه فجمعتها أوراق الخريف ودوّنتها. دوّنتها ثمّ تناثرت على كلّ ساحة كان له يوما ما فيها فعل أو أغنية أو لحن وانتهجت بها كلّ المسالك الّتي ارتادها مخيّرا أو مجبرا فارتسمت ذكريات وسجلاّت لا تمحى وسوف تصل إلى غايتها . كان وهو مسافر يتفقّد خطاه و كأنّه يطمئنّ أنّها حملت توقيعه حتّى لا يقع التّلاعب بها وهي في طريقها إلى أولاده. وأخيرا يصل إلى موعده ويغيب..غاب ولم يكتب رسالة خطيّة بيده لكنّ الطّريق الّتي سلكها بعثت بجميع السّجلات إلى كلّ الدّنيا و حمّلتها توقيع المسافر لتصل إلى أولاده فيعتزّون بها ويفتخرون ..ستصل الرّسالة وستجد معالم جديدة وحياة جديدة تحمل بصمات ورائحة المرسل فهو الّذي أعطى فيها من جهده وحياته رغم يقينه أنّه

لن يحي ليعيشها. ستصل الرّسالة ويكون الفصل ربيعا تجمّلت فيه الأشجار بأوراق خضراء يانعة تستعدّ لتغنم من الحياة وتعيش الفرح والبهجة وتستقبل في أحضانها الطّيور الّتي ستبني أعشاشها وتفرّخ ثمّ تسافر من جديد. كان السّفر ضروريّا ولكنّه انبعاث لحياة جديدة..كان إعلانا لبداية أو بدايات..كان بذرة لولادات أخرى ستتعاقبت على مدار السّنة ولن تترك الأرض قاحلة..

هذيان

قمت هذا الصّباح و أفطرت كعادتي ولأنّ اليوم هو يوم عطلة اصطجبني والداي إلى مدينة الملاهي .هناك استمتعت بكلّ الألعاب الموجودة و أنفقت أموالا كثيرة كان والدايا قد وعداني بها إذا ما تحصّلت على نتائج جيّدة في المدرسة . لكنّي وأنا أتنقّل بين ألعاب مدينة الملاهي كنت أتحاشى أن يراني أصدقائي و زملائي لأنّني قليل الاختلاط بهم حتّى أحافظ على المسافة الّتي تعوّدت أن أتركها بيننا ممّا يسمح لي بتكريس احترامهم لي والنّظر لي على أنّي طفل كبير أو رجل صغير . كنت متفوّقا عليهم رغم أنّهم من أبناء "سادات" البلد و أغناهم . في مدرستي أحظى بحبّ واحترام جلّ التّلاميذ و إدارة المدرسة والمعلّمين لأنّي من جهة مجتهد في دراستي ، من جهة أخرى

كنت وسيما و أنيقا في لباسي و ذوقي و محافظا على نظافتي خلقا و أخلاقا ومن جهة ثالثة، أبي من الأعيان وله فضل كبير في تأسيس هذه المدرسة و في مواصلة الاعتناء بها صيانة ومساعدات. لذلك سعيت عن وعي منّي أحيانا و عن غير وعي أحيانا أخرى أن أحافظ على مكانتي تلك وكان من بين ما أفعله قلّة الاختلاط بأصدقائي وزملائي . عند عودتي إلى منزلنا و هو في الحقيقة عبارة عن قصر تتعدّد فيه الغرف المتنوعة أثاثا وديكورا . اذ كان ابي قد استقدم مهنس ديكور ليشرف على اللّمسات الأخيرة و التّشطيبات ووضع الأثاث والتّجهيزات بصورة فنيّة تليق بفخامة المنزل و ساكنيه . بعد جولة في الغرف بحثا عن أخي الذي يكبرني و الّذي كان دائما مصدر مرحي في المنزل لكنّي نسيت أنّه ذهب في رحلة مع عمّي الّذي كان يقيم معنا لذا لم أجده . عندها طلبت من أمّي أنّ تعدّ لي غدائي . جلست إلى طاولة وضعت عليها أمّي طبقا من السّمك و سلطة خضر كنت أحبّها جدّا . بعد ذلك أحضرت لي موزة و تفّاحة لأنّها تعرف أنّ الغلال عندي تأتي في المرتبة الأولى قبل الأكل أحيانا . بعد الغداء قصدت بيت الاستحمام لأغسل يديّ وأسناني. في المساء لم أخرج من غرفتي فأنا مولع بالمطالعة و كتابة بعض القصص الصّغيرة و الّتي طالما حازت على إعجاب معلّمي حتّى أنّ أحداها اعتمدناها كموضوع مسرحيّة في حفل نهاية السّنة الدّراسية و سألعب فيها دور البطولة أنا و صديقتي المفضّلة و هي في نفس الوقت بنت جيراننا فنحن نسكن في حيّ راق . عندما جنّ اللّيل عاد أخي من رحلته هو وعمّي فلعبنا واستمتعنا ثمّ اجتمعنا على عشاء جلبه عمّي من مطعم فخم.

أثناء الأكل كنت وأخي كعادتنا نتهكّم على طريقة أكل هذا أو مسك أحدهم للشّوكة والسّكين أو عندما يحدث أحد الأفراد صوتا وهو يأكل أو يشرب . ولكنّ ذلك لا يثير غضب أيّ منهم فنحن عائلة متماسكة ومتناغمة بل إنّهم يتفاعلون معنا لنضحك كلّنا وتزيد متعتنا باجتماعنا وتناسقنا. عندما انتهينا من العشاء والفاكهة انتقل أفراد العائلة إلى قاعة الجلوس فوالداي لا يفوتهما أبدا موعد الأخبار والموائد المستديرة لأنّهما يهتمّان كثيرا بالشّأن الاجتماعيّ والسّياسيّ بحكم وضعهما الاجتماعيّ . أمّا أخي فقد اتّجه إلى غرفته ليراجع دروسه ثمّ ينام. بالنّسبة لي اتجهت رأسا إلى فراشي فيومي كان حافلا بالنّشاط والحركة حتّى دروسي فقد راجعتها أثناء المساء...وها أنا ذا نائم في غرفتي يا ساسة القوم..انظروا إلى غرفتي وفراشي وغطائي..انظروا إلى لباس نومي..ها أنا نائم في غرفتي الفخمة الّتي قد تحلمون بواحدة مثلها هههههه...هل علمتم الآن أنّي كنت أحلم و قد أخذ منّي البرد مأخذا حتّى صرت أهذي فماذا أنتم فاعلون لي ولمن هم في مثل حالتي؟

لمن تؤول الرقعة؟

جمعت كل الفرقاء فامتدت إليك أيديهم تلونك و تجملك في أعيننا..لا بأس بها كفكرة و كحركة التف حولها الناس و لا ضير من ذلك حتى و إن اختلفت امداداتهم.. بعضهم رسم لك ورودا و أعطاك ألوانا تبهج منظرك و تسرك ..و بعضهم صب جام غضبه من وحي عقده و أمراضه النفسية فلونك بالسواد ليظهر حقده على الناس و حبه الشديد لطمس كل مشهد مبهج و رائق ..و هي أيضا يد الحقد و الكره امتدت لتزرع الغضب و الفرقة بين الناس حتى يتسابقوا إلى التناحر و التباغض..و بعضهم الآخر مد إليك أياد مرتعشة لا تقوى على رسم متناسق فتركت فراغات كئيبة شغلتها يد الحقد لتزرع ما ينفر الناس من بعضهم البعض.. ومع ذلك هناك أياد امتدت لترسم على أعطافك حدائق تجلب السلم و التحابب و مروجا يأوي إليها كل من رأى في الآخر مثيلا له حقيقا بمقاسمته العيش الكريم في كنف السماحة و التكافل و قبول الآخر..و بين تلك الأيادي برزت تلك

التي شاركت كل الرسامين في ما رسموا و أخذت من كل ألوانهم فاستعملتها فلم تظهر خلافا لا مع هذا و لا مع ذلك لكنها استوعبتهم و استقطبتهم بما فعلت فسيطرت بذلك و كدنا نطمئن إلى أنها يد تجمع و لا تفرق بين بني البشر ..في حين أنها كانت أذرع هدم متربصة و حقودة تقدمت لتسحب البساط من تحت كل المتعايشين وتجعلهم بعد سقوطهم يركعون تحت أقدامها فتتسلط عليهم بألوانها و أشكالها التي تمثلها وحدها و لا تحوي شيئا مما خلنا أننا اشتركنا في انشائه و الذي سعينا باذلين كل الجهد..متطوعين غير مرغمين الى بلوغه..كان الوئام أملا لوضع مزيج لكل الألوان و الأشكال على صفحة درس واحدة فيفضي إلى تناسق و تشارك يمحو كل الفروق و يرسي قيما للجمال و الفن و العمار و...و...و يحمل بصمات مختلفة لكنه يجمع بينها..كان الأمل أن يتصالح الفرقاء بعد أن يتواضعوا على معاني الحب و التعاون و الجمال و معاني الألفة و دفع الظلم و الكراهية نحو اللاعودة..ما حصل في الاجتماع دحض كل الأحلام و ضرب بها عرض الجدار المتهالك فتناثرت و ذهبت مع كل ريح لا تعود إلى حيث اجتمع الناس..و برز لون واحد و رأي واحد و شكل واحد فاستسلمت له أغلبية الأيادي و ارتفعت إلى الأعلى معلنة الانقياد و الطاعة..لم يكن الفرق واضحا بين امكانيات كل يد و أخرى في وضع رسمها و لونها مع بقية الملونين و الرسامين لكنها خذلت بعضها البعض واصطفت أياد مرتعشة مع أخرى كانت أكثر منها صلابة أو لنقل كانت أكثر منها اصرارا على أن تأخذ مكانا كانت تراه يليق بها على الرقعة التي كانت من المفترض أن تكون قيد الشراكة العادلة فلا فوز

لأحد على الآخر و لا سيطرة في الزمان و لا في المكان لأحد على البقية.. امتدت لك كل الأيادي فاجتمعت قلوبنا ومشاعرنا و انتظرنا بداية العيش الكريم لكل البشر..لكن الخذلان و الخيانة أعطى القوة و السيطرة للمخاتلين و الذين خلفوا الوعود بمكانة و رخاء و هيبة فارتد ما حسبناه نعمة الى نقمة و خسران وتفوق البعض على بعض و ركنت الأحلام في صدور الحالمين و نثر البعض الآخر مع الرياح القادمة من شمال البحر و غرب المحيط..لكن الحياة مداولة.. تعلمنا ذلك من التاريخ و عاش الانسان كل الحيوات ليفيدنا بعد ذلك أن الاصرار على الحلم يحققه و" اليدةالمرتعشة لا تصنع التاريخ" لذلك ظهرت من بين الأيادي يد تترصد البقية و تصر على لونها و لم تعطه للمتفوقين و لم تنطل عليها حيلهم ..فاستمرت بخطى ثابتة ترسم الأمل و تنير الرقعة بألوانها الزاهية و تتحدى بالرغم من أنها وحيدة..و بالرغم من توسطها السواد و الخذلان...

و ينبثق من الأعماق نور

تحت السطوح الهادئة حيث لا هدوء و لا راحة.. تجدف الزعانف أو لم تجدف فلا حركة حقيقية نحو الأمام..إنما هي حركة مستمرة في نفس المضيق فلا جديد ولا مسير نحو الأمام..حيث لا تنتهي الصراعات لا البسيطة ولا المعقدة ..حيث يستولي كل من يفوق الآخرين على ما له وما ليس له..و في تلك الأعماق و رغم وضوح الصورة أحيانا ورغم تعري الحقائق يستمر الغموض بين الموجودين و تتضخم صورة لتتضاءل أخرى و يعلو صوت ليخفت اخر ..تحت جمال السطح يستفحل القبح على كل جميل فيبشعه..تحت زهو ألوان السطح يغمر اللون القاتم المكان و الأعماق و تصعب الرؤية و يستحيل التجذيف أحيانا لأن الوجهة غائبة فيبدو المكان سجنا فسيحا لا يسمح الا ببعض الحلم ليتبدد في أول تقاطع مع سطوة المستبد

..وتتعالى صياحات لا صدى لها فقد أطبق عليها السطح ليبقي على جمال صورته و أصوات سمح لها بالانعتاق ما دامت تذر الصدأ على المسامع..فلا نكاد نسمع إلا أصواتا مزيفة لا نعرفها ولا تترجم ما رددته حناجر الأعماق..السطح أملس لا يسمح ببقاء النتوءات والشوائب التي تخدش جماله فإما انه يسمح لها بالانزلاق و الرحيل حيث اللاعودة أو أنها تغوص في الاعماق فيغطيها و يحجبها فلا أثر لها بعد ذلك..و تمر الطيور فلا تغني وحتى اذا غنت فلا آذان قد تسمعها لأن الصدأ غمرها . وتأتي الشمس فترمي بنورها لكنه لا يبلغ الأعماق فالسطح زيف نورها و حجبه عن العمق حتى يبقيه على حاله فلا تخفيف من قتامة لون الأعماق..يستمر مع ذلك و بالرغم منه التجذيف وراء تلك الأحلام البسيطة من داخل الأعماق تحت السطح الهادئ..فيحدث أن يصطدم الحلم ببعض الجمرات النائمة تحت السطح فتبعث وميضا تستجيب له بعض الفجوات التي غفل عنها السطح أو تمكنت من الافلات من اطباقه عليها..من هناك تنبعث أصوات جميلة نعرفها و نتلذذ بالاستماع إليها..من تلك الفجوات تنبعث اشعة شمس لا زيف فيها ..ولا قبل لأي سطح أن يواريها ..وتعود الطيور لتبعث في الكون بهجته ويستقيم وضع السطح و القاع معا..فما على السطح هو أصل القاع و ما للسطح من صورة غير عمقه الذي أنشاه.

الدرس

بهتت صورتها وراء خيوط المنسج لكنها ما كتمت سر أصابعها الخشنة التي دأبت على صنع ما تعاقدت عليه الأجيال المتعاقبة..جلست جلسة الشيوخ في محاضر الدرس و الخطاب .. جلسة العارف بما بين يديه و تأهبت لتعطينا درسا في كتابة الماضي و انشاء المستقبل ..جلست لتدرسنا كيف من خيط ضئيل و رقيق نصنع زربية متينة قوية كل خيط فيها يتلاءم مع باقي الخيوط في تراص و تقارب مكونة أرضية وتكتب عليها الخالة بأمشاطها أسطرا و عبارات تتجلى حكايا و سجلات تقول لنا من نحن ..تؤصلنا و تجذرنا و تعطينا هوية..تعلمنا الخالة أن التاريخ هو أثر من انجاز الانسان في المكان و الزمان..والحضارة بكل المعاني التي تأخذها هي ما سجله الفرد والمجموعة عندما مروا في الحياة..بكل امكانياتها البسيطة تجمع الخالة بين الذوق في اللون و الزركشة و ملاءمة هذا بذاك فتعرف أن تلك القطعة هي من جهة الشمال أو من الوسط أو من أي منطقة في الجنوب أو..أو..

و يقف الباعة و المشترون في الأسواق الخارجية أمام منتوج الخالة فتخبرهم بصماتها على مصدرها دون عناء البحث..عملها بحث و تنقيب في الذاكرة وتأثيث للحاضر و هو رسالة للمستقبل من حيث أنه حث على تدوين التاريخ ليس فقط بالقلم بل بما تصنعه الأيدي مهما كان عملها بسيطا إذ الكنوز مهما كانت قيمتها و فخامتها رسمت خرائطها على رقاع بسيطة من الجلد أو لحاف الشجر أو حتى الحجارة..تأتينا القطعة المنسوجة بدقة و نهاية في الاتقان و الجمال فنتزين بها في المناسبات أو نقي بها أنفسنا من البرد أو نتباهى بها في منازلنا و نباهي بها بلدانا اخرى و نتفوق عليهم و الخالة التي بهتت صورتها وراء المنسج هي الفاعل و المنجز لكل هذا..عملت من أجل القوت أي نعم لكنها عملت من أجل البلد أيضا فدونت اسمها في سجلات التاريخ و خلفت بصمة تتوارثها الأجيال فخرا و اعتزازا بين الدول..عملت الخالة مترنمة ببعض أغاني التراث فرسمتها اشكالا و صورا واضحة على منتوجها و أضافت عليها..و عملت صامتة فترجمت أحاسيسها فنا و احساسا تبوح باسراره اصابعها في بعض الأحيان فقد كبتتها تقاليد القرية حيث قضت حياتها ..وفي كل حالة من الحالات نقرأ ونفهم فنتزود علما ولا نملك سوى أن نشكر الخالة في شخصها وكل من حذا حذوها و تعلم منها ..

الحلم الطائر

تهالك على الأرض ثم جعل مرفقه متكأ و ظل شاخصا إلى ما يحيط به. و رغم صغر سنه لبس لباس الكبار و جلس جلستهم و راح يتأمل مثلما يتأملون. جمع الطفل بين الوسامة والشدة في الآن نفسه. فوجهه يعتليه بريق الحمرة و الجمال . وعيناه ترسلان معاني البأس وقوة الشخصية.. تتقدان ضياء و يلمع فيهما الذكاء و الفطنة. اتكأ أمام الكوخ وجلب إلى حظيرة تفكيره كل الذي كان يختلج في نفسه و يحفزه.. فجمعته مباراة كرة قدم بمن هم في مثل سنه و صار يسميهم بأسمائهم هيا يا....مرر لي الكرة..احذر يا..لا تجعله يقذف الكرة .. احم المرمى يا...و تفاعل الطفل مع صياح الأطفال وضجيجهم واختلافهم في الحكم على وضعيات في لعبتهم و شجارهم عمن تؤول إليه الكرة إثر تلك الوضعيات..ثم يمر أحد الشباب الذي يكبرهم سنا فيحكم بينهم لتؤول الكرة إلى أحد الفريقين فيعود اللعب و يعود الركض وراء الكرة و الصخب و التنافس و من حين لآخر يعلو صوتهم فوق العادة لأن أحد

الفريقين سجل هدفا..و تعرف هذا من ملامح وجه الطفل أو من حركة جسمه الممدد على الأرض..ثم ينتقل الطفل إلى المدرسة ..فها هو يلبس ميدعة جديدة اشتراها له أبوه من أحد دكاكين المدينة بثمن باهض مع سروال يتماشى و موضة اليوم .. وانتعل حذاء رياضيا من النوع الرفيع جلب نظر كل التلاميذ وحتى المدرسين..ووضع الطفل على ظهره محفظة جميلة ومتينة قد حمل فيها بالإضافة إلى كتبه وكراساته وأقلامه المتنوعة والمختلفة لمجة سيتناولها وقت الراحة وسوف ينزوي بعيدا عن أقرانه كي لا يحسدوه ويفتكون منه بعضها..أما في القسم فقد جلس الطفل في أحد الطاولات الأولى و كان جل الأطفال يتسابقون للجلوس معه في نفس الطاولة فهو بالإضافة إلى ذكائه المتقد وخطه الجميل كانت له كراسات جديدة و رفيعة وكتبه مغلفة بأجود وأغلى الغلافات وكان كل المعلمين يثنون عليه دائما لأجل ذلك..يبدأ الدرس فترى الطفل أول من يرفع إصبعه ليجيب عن سؤال أو ليحل مسألة أو ليضيف بعض المعلومات أو بعض الايضاحات لما قدمه المعلم فهو يملك حاسوبا في منزله وانترنات وفي ابحاره كان يجمع معلومات إضافية من هنا و هناك فتتسع دائرة معارفه ويفوق بذلك أقرانه وهذا سبب آخر يجعل الأولياء يوصون أبنائهم بالتقرب من صديقنا و محاولة الجلوس معه في نفس الطاولة..ثم يعود من المدرسة على دراجته الهوائية وقد سبق كل مرافقيه في الطريق حتى أنه كان يترقبهم من حين لآخر ليغيضهم ثم يعاود الابتعاد عنهم بدراجته السريعة و هي هدية عيد ميلاده الأخير جلبها إليه اخوه الذي كان يملك الكثير من المال و عملا يدر عليه ما لا

يحسب ولا يقدر..ثم تحول الطفل من المدرسة إلى داخل المنزل حيث كان كلما عاد من المدرسة أو من اللعب جلس على أريكة يشاهد شاشة التلفزة التي تملأ جدار قاعة الاستقبال فشاهد فلما أو برنامجه المفضل من الصور المتحركة ثم جلس إلى طاولة الافطار مع أفراد عائلته فتناولوا الغداء أو العشاء ثم الفاكهة والغلال التي كانت تزخر بها الثلاجة ..وبينما الطفل منشغل بأحلامه إذ بأمه تناديه و تطلب منه أن يذهب إلى العين ليجلب الماء..فاستفاق و وجد نفسه حيث تهالك منذ زهاء ساعة بعدما رافق أباه إلى المرعى ليعاونه على قيادة الشويهات إلى هناك. و ها هو ذاهب إلى العين حيث يملأ الماء و يلتقي ببعض الصبية الذين كان يذكر اسماءهم وهو يتخيل نفسه ينافسهم في مباراة كرة القدم ليحدثوه عن المدرسة التي طار به خياله إليها و هو متكئ على مرفقيه و القسم وأصدقائهم و المدير و المعلمين فهو لم يدخل المدرسة بعد. وسيذهب إلى العين على ظهر حمار فصديقنا لا يملك دراجة كما رأى في أحلام يقظته وأما عن عيد ميلاده فأبواه لا يكادان يتذكرانه فقد علق بأذهانهم أنه ولد سنة كذا و لا قبل لهم بحكم عدم تمدرسهم أن يتذكروا يوم ميلاد ابنيهما...وبالنسبة لأخيه فهو عامل بسيط في المدينة يعمل ما طالته يده فقط ليعود بما يسد به رمق العائلة فهو لم يحصل على شهادة تمكنه من الحصول على وظيفة و ليس له مال يسمح له بامتلاك مشروع أو غيره..فهل لهذا الطفل من سبيل كي ينجح في تحقيق أحلامه و ينقذ عائلته؟ وهل من سبيل لمن في مثل حالته أن تشرق شمس يوم ما و يجدون أن الحال تبدل و استحال إلى ما يمكن تسميته حياة؟

المونولوج " "monologue"

بدأ الظّلام يحطّ على المدينة، فرأيت أسراب الطّيور تنتقل بسرعة لتعود إلى أوكارها قبل أن يداهمها اللّيل .وبدأت الطرقات تقفر شيئا فشيئا استعدادا لبداية السّكون ونهاية حركة يوم كامل ولو أنّ الحركة كانت شبه مشلولة . حتّى الخفّاش الّذي اعتاد ان يصول ويجول في هذا الوقت بالتّحديد لم يظهر . ثمّ بدأت تسمع أصوات الأبواب والنّوافذ وهي تغلق بعد أن غنمت البيوت من الهواء والشّمس طيلة النّهار الخالي من حيويّته المعهودة. وكأنّ غلق الأبواب والنّوافذ هو إعلان بالانزواء والانغلاق على النّفس. هو الانطواء وبداية "المونولوج" " monologue" . كأنّ النّاس في حاجة لهذا الوقت فقد أسرعوا بإغلاق نوافذهم حتّى أنّك لا ترى من البيوت ولو ضوء واحد ينبئك أنّ هناك حياة داخلها. أهو الموت المؤقّت؟ أهو التّحفّز لحياة جديدة آتية فوجب أن يرتاح النّاس ويستعدّون؟ أم هو ترتيب البيت بعيدا عن الانظار والاستعداد لخوض المغامرة من جديد وبنفس الجهد؟ في الحقيقة ، الحياة متواصلة داخل البيوت . هي حياة أخرى لها نواميس وتراتيب ليست كالّتي نحياها خارج البيت. أحيانا هذه الحياة داخل البيت تكون أحلى من أيّ وقت تعيشه خارجها وأحيانا أخرى رغم حلاوتها هي أصعب الأوقات فقد تتهرّأ الخيوط الرّابطة بين مكوّنات البيت . وقد تنقطع الاواصر

والقنوات فلا مدد بينها لذلك تذبل الحياة داخل البيت شيئا فشيئا إلى أن تنعدم. وهي أيضا حياة تغلب عليها الحسابات . مراجعة النّفس ومناقشتها فيما مضى من أفعال وأقوال وفي العلاقات أيضا. وحسابات تتجهّز لما ستكون عليه الحياة في الغد وبعده .إذا فهو "مونولوج" "monologue"عائليّ. ولأنّ العائلة أفراد تكون الحياة داخل المنزل خاضعة لنواميس وترتيبات ينجح فيها من استطاع أن يفوق غيره في الإلمام بهذه النّواميس حتّى لا يصبح عبدا لها وحتّى لا تؤدّي إلى انعدام الحياة داخل المنزل. الفرصة دائما سانحة للفوز طالما الافراد أناس . فالنّاس لهم تجارب ولهم مشاعر وعقول. وبقدر ما يجمعون بين كلّ هذه الخصال بقدر ما يكون نجاحهم أكبر. لذلك بحلول الظّلام وبإغلاق النّوافذ والأبواب يبدأ "المونولوج" "monologue" العائليّ وتبدأ فرص النّجاح فيه لكلّ من أعمل عقله واستعمل عاطفته مستعينا بتجاربه.

الحصن

أزاحت عنها رداء نومها و تزيّنت بأجمل ما تملك من ملابس و حليّ لتستقبل يومها و تسعد محبّيها بشكلها الأنيق وروحها المرحة. ألقت التّحيّة و أرفقتها ببسمة تودّد و دعوة للفرح و ملء القلوب بالمحبّة و قبول الآخر. رفعت شعارها عاليا حتى ينتبه له كل من نسي أو أخذته مشاغله. فتحت أبوابها و نوافذها لعلّ روائح عطرها تصل كلّ المحيطين بها فيستنشقون عبيرها فيحبّونها، ويسمعون صوتها فيستلذّونه ليتخلّصوا من كلّ النّشازات، و بذلك تتربّى آذانهم على الرّفعة و القيم الأصيلة و الأصوات الّتي تجمعهم و لا تفرّقهم رغم اختلافهم ..و يعتاد النّاس على الالتزام بنشر الحبّ مهما كانت مواقعهم و مهما كانت وضعيّاتهم. هذا الالتزام على بساطته هو عميق في تداعياته على النّاس في الشّارع و في تعاملهم مع بعضهم رغم التّشتّت. ان نختلف ليست مدعاة للتّناحر. و أن نترفّع على كلّ ماهو هابط هو في صميم البناء الصّحيح لأيّ تشكّل مجتمعيّ. نعم سنضطرّ أو سيضطرّ البعض منّا أن يقبل مواقف او مسارات على مضض ولكن تلك قوانين لعبة التّشكّل في محيط مع غيرنا. صديقتنا تنادي كلّ من التزم بحبّها و صداقتها أن يجتمعوا حولها بألوانهم المختلفة و أصواتهم المتعدّدة ليكونوا معا تختا يصدح بحبّها و باقة تزيّنها و في الآن نفسه حصنا يصونها و يدفع

عنها كلّ ما يجلب لها الحزن وكلّ ما يمسّ بجمال روحها. هذا الالتفاف حولها لا يعني الاصطفاف و التّخندق أو التّخلّي عن رؤانا ومشاريع نراها تصون الحبيبة، بل هو يعني الوقوف مع ما يرفعها و يدفع بها نحو سموّها و رقيّها و الرّدّ على ما يهينها و يجذبها إلى الوراء و التّقهقر. صديقتنا حقيقة بكلّ ما يمكن أن نبذله من أجلها أكنّا قريبين أو بعيدين عنها. حبيبة الجميع لا تدعو أحدا بذاته دون آخر ليكون بجانبها و ليحظى بحبّها، بل تدعو الجميع وتحثّهم على توظيب بيت يكون كلّ واحد من المتحيّزين لها دون سواها لبنة صلبة في رفعه . والبداية تكون بهندسة مخطّط البيت. و هذا المخطّط يقتضي بادئ ذي بدء الاقتراب منها و طمأنتها. نكون في البيت أو خارجه هو لنا جميعا و نتعاقد على ان يكون الأمر كذلك مهما تغيّرت ظروفنا وملابسات حياتنا. نعم ، لن يكون الآت بلا هزّات ولا بعيدا عن التّعقيدات لكنّنا بفضل ما نحمله من انتماء و بقدر ما نؤمن به من وجوب قبول الاختلاف والتّوق نحو بناء صامد سوف نكون حصنا منيعا للبيت أمام كلّ ما يهدّده و سنخلق منه قاعدة نحو التّقدم والتّطور..

جاء العيد

يأبى القلم أن يفرح أو حتى أن يبتسم لما سموه عيدا للعمال .. فالقلب اجتاحه الحزن واستوطن لما رأته العين و لم يقبله العقل..يأبى أن يطيع أهازيج الشارع و تكريم بعضهم أو بعضهن.. و تغرورق العين و تجدب المشاعر فيستفحل الحزن ويغمر الجسد فيتداعى حمى وتحلل و تستلبه المشاهد المرعبة حتى تكاد تتصاعد منه ثورة البركان غيظا وحسرة..يأتي العيد في أماكن عديدة غير مكاننا فتتزين المدن وتلبس حلي أهلها لأنها أنصفتهم و قدرت جهودهم فأهدوها كل ما يملكون من غال ونفيس ..و أعطتهم هي كل ما يسعدهم ويشرح صدورهم للاحتفال و التأنق ..فكأن العامل هناك عريس يحتفي بعرسه و كأن بلده أما تفرح لعرس ولدها ..ثم كأن اهل المدن هم أهل أريافهم فالعيد يشملهم كلهم و الفرحة تعنيهم كلهم و البلد يحويهم و يأويهم كلهم لا يفرق بينهم..هناك..يشعر كل عامل بالفخر و يشعر بكيانه و بأنه يحيا وأن ما حوله له ولكل أمثاله ممن اعطوا الكثير فجنوا على قدر عزمهم وعطائهم ..وتكرمهم المدينة لأنهم ما بخلوا عنها بشيء فتسعدهم وترعاهم و تنصفهم فتحفز هممهم على مزيد العطاء .. هكذا تنشأ الأجيال على حب الوطن و العمل من اجل نمائه و يتمادى الوطن في كرمه و تقديره لهم حتى كأنهم السادة بكل فئاتهم و في كل ربوعه .. في

بلدي يشقى العامل ويجوع ويتعرى و قد يتسول و من ورائه ابناء تنسحب عليهم مأساة ابيهم و أمهم اللذين يسعيان جاهدين لإبعاده عن آلامهما لكنها تفرض على الجميع و كأنها القدر المحتوم..في بلادي يأتي العيد و لا يأتي معه بجديد بل بقديم متجدد فتزيد المحن و تتراكم فلا راحة بال و لا مال للفرح و الزينة الا للذين اجتبتهم يد القدر و من هم في يسر العيش فتظهر على هؤلاء زينة مزيفة وضحكات مفتعلة في صور اختاروها و رصوا لها صفوفا مخدوعة لتنطلي عليهم خرافات اكل عليها الدهر و ما زال يشرب..حاولت أن اتعسف على قلمي ليتفاءل كما أريد ان افعل فتنكسر الريشة مع كل لفظة زيف اخطها ولا تنطبع على ورقي الذي تشاءم هو أيضا وبات بياضه خواء كالفراغ في غياهب القبور .. و استولت عليه انكماشة اوراق الخريف المتساقطة على أرض قاحلة..تشدني إلى الارض بسمة صباي و أحلامي و أحلام من أحببت فأتشبث ببعض ما تبقى في من إيمان بأن القادم لن يكون أسوأ مما كان و ما هو كائن فأتذلل لقلمي ليطاوعني في حلمي فيتذمر لكنه مع ذلك يسعفني ببعض الكلمات حتى أقول سيأتي الفجر و تبزع شمس بلدي في يوم يشبه أياما تعيشها بلدان اخرى و أفراح يعيشها أناس أخرون ..سيأتي فرحك وعيدك الذي رجوت دائما يا عاملا في بلادي..

خبر مضحك

جلس على قارعة الطريق يستظل بشجرة اظفت بظلالها على رقعة كبيرة من محيطها و راح يحيي كل من مر بالقرب منه مرسلا ابتسامة توحي بروحه المرحة و صدره النقي . ثم التفت الى جانبه فوقع بصره على ورقة من جريدة فأخذها و راح يمعن فيها النظر . في البداية كان يدقق و يتأمل محتواها مما كتب أو ربما الصور أيضا. و فجأة ابتسم ابتسامة عريضة تخاله قرأ نكتة أو ما شابه. ثم تراه يتابع القراءة و يعاود ابتسامته و يسمع له صوت ليس قهقهة لكنه صوت ضحكة مسموعة و من حين لآخر يرسل ضحكته تلك و معها يدير رأسه يمينا و يسارا معبرا عن تفاعله أو اشمئزازه مما بين يديه. وكلما مر به أحدهم رفع راسه و حياه بطريقته المميزة و كأنه يريد أن يشاركه في محتوى صفحة الجريدة. استمر على ذلك الحال حتى اقترب منه على ما اظن صديق له و كان يدفع عربة نفايات.. نفايات الحي الذي أسكنه أنا أو لعله من بينها..يجلس إليه زميله فيطلعه على ما قرأ فينفجران ضحكا ويضرب أحدهما كفه على كف الآخر . و يواصل صديقنا الأول إطلاع زميله على فحوى الجريدة فيتواصل ضحكهما و يتواصل المشهد حينا من الزمن قطعه فجأة على ما اظن انتهاء مصدر ضحكهما فالظاهر أنهما استهلكا كل ما في الصفحة. لكن لماذا لا يشتغلان ؟ كانا في انتظار الجرار الذي

سيحملون عليه ما جمعوه من نفايات و كان الأمر كذلك . استمررت أتابع المشهد فتعالى صوت الفريق ضحكا بعد سماع ما يرويه صديقنا و فهمت انه كان يحاكيهم نكتا أو ما يشبه النكت وجدها على الجريدة . و لأنه على ما يبدو صاحب نكتة فقد حفظ و استوعب ما قرأه و راح يردده بطريقته التي جعلت كل من على الجرار يهتم و يتفاعل معه. اتم الفريق ما عليهم فعله و استعدوا للرحيل أو لنقل مواصلة عملهم في مكان آخر..و استمر منشطهم يداعب نفوسهم التي لا تمل و لا تكل في متابعة شغلهم مع روحهم المرحة التي زكاها زميلهم . يرحل بنا المشهد إلى ما تتناوله بعض الاخبار ثم تزودك بعكسه فتجد نفسك في محل ارتباك و في بعض الأحيان تثير فيك الضحك ليس لأنها نكتة بل لتضاربها و لأنها أيضا تحيلك على عدم الإكتراث..فآخر هم بعضهم هو بيع الكلام مهما كان الثمن و كيف ما كانت النتيجة . و بعض الأحيان قد تحزن لما آلت إليه مهمة الإعلامي هل هو البناء و بذلك يكون سلطة رابعة و ركيزة من ركائز التقدم و التطور؟ أم دوره هو الإلهاء و تحويل الوجهة للواثقين جدا في مجلوبات هذا النوع من الإعلاميين و بذلك يكون الإعلام سببا من أسباب الانحطاط و التدهور؟ و قد تثير فيك بعض الأخبار الرغبة في البكاء .. لأنك تنتظر أشياء فيأتونك بما لم تزود فتندم أنك انتظرت و تندم أنك توسمت الخير في من لا يرجى منه خير.. وتضطرك الحالة إلى المقارنة التي نحن في واقع الحال في غنى عنها .. فتقارن انسانا في بلد ما افنى عمره في البحث و التدقيق ليعطي الناس في بلده ذاك زاد التقدم و التطور. ثم تأتي حيث أنت فتجد ابن بلدك التي هي في حاجة إليه

و أنت بعد لكنه يتناول مهازل و هنات أمره بها أسياده ليغرسها في بلده التي هي في حاجة إليه ليسمي ذلك حرية إعلام و رأيا مخالفا لك ان تتفاعل معه. ويغيب عن هؤلاء ان مدار اختلافنا ليس في الثوابت و الانتماء بل اختلافنا هو في الإجابة عن السؤال كيف نتطور و نطور بلدنا.. مدار اختلافنا الذي يجب ألا يكون سببا في تفرقنا هو ماذا يقدم الإعلامي وكل ناشط في أي ميدان لنتطور و يتطور البلد.

حتى الكلمات تثور

ترتبك الحروف على لسان قلمي قبل أن تستحيل إلى كلمات.. و الكلمات.. ترتعش و هي تتهالك على اسطر صفحاتي..ثم تسبح في عمق دمعاتي ..تعاتبني .. تحملني مسؤولية الكشف عنها وهي التي لازمت تجاويفي .. و هي التي توارت خلف أنيني و آهاتي.. تسترت فيما مضى حتى لا يعبث بها من لا يفهمها..و حتى لا تتلف بين رفوف المكتبات فتضيع و تنسى .. عاشت بين أضلعي تعذبني .. تسلبني إرادتي.. تؤرقني..و بما أنني صاحبها و أفهمها احتفظت بها وصبرت عليها ...عاشت كلماتي معي و في فحملت كل ما يخالجني .. رسمت صور أفراحي و أطراحي ..و عندما أطلقت لها العنان فضحت أمري كأنها تعاقبني على كشفها للناس.. و أنا ما أفصحت عنها لأبوح بسرها.. بل لأن أحاسيسي ناءت بها ثم إنه بات سهل على أي كان أن يقرأها على ملامحي ..أفصحت عنها كي لا أجرم في حقها..و كي لا أسال لماذا حجزتها وحلت بينها و بين صفحات زمانها..لم أفصح عنها لأجني عليها.. بل لترى نورا حرمت منه .. رجوتها أن نتصالح فكل منا أخطأ في حق الآخر..كانت أقوى مني و لم تسامحني .. لم تقبل أن تعود إلى مخبئها.. لم تعد ترتعش عند نزولها على الصفحات..أصبحت تملكني و لا أملكها..أصبحت أنا الذي أختبأ وراءها بعد أن كنت أنا ملجأها و مخبأ سرها.. كانت

تخشى الاصطدام..و الظهور.. وجاء علي الدور لأكون سجينها و تحت رحمتها.. أحمل قيمة و فكرة فتراها تسابقني إلى القلم و الورقة فتسبقني .. بت أخشى عليها منها و اخشى علي منها..فقد تكتب الكثير و ما تبلغ عني ما أردت .. قد أستجدي أملا للناس بأحرف و كلمات يفهمونها و يحسونها..و قد أتزلف الكلمات و الصور و أنمقها لتنقل حقيقة أراها وكل الناس رأوها..لكنها كما المياه فوق الرمل حياتها قصيرة.. وهي كالبرق ضوؤها محدود في المكان و الزمان..و قد أصدح بما يعرفه الناس عنك لكنهم ينكرونه علي طالما ذلك سيعطي عنك صورة لا يريدونها لك..فإما الصورة التي يريدون و إما فقلمي و ما سطر " تغريد خارج السرب".. لذلك أخاف على كلماتي و منها. كانت حروفي لي و لي وحدي فكنت سيدها رغم أنها عبثت بأوتار عودي و بأوزاني..ثارت علي فاستجبت لها طوعا و كرها و رسبت في أن أقودها من جديد..

فى منزل الجار

تغيب الشمس وتميل الحركة و الأصوات في حينا إلى السكون..وتفيض مشاعر الدفء في المنازل حيث عادة يلتقي أفراد العائلات و يتنادوا إلى التحلق حول طاولة أو مائدة يؤثثها أكل صنف على قدر سعة الناس و شهواتهم..وتقام حوارات تختلف مواضيعها و أهميتها حسب حاجة الناس و مستوياتهم..و البيوت كما يقال" أسرار"..من بين بيوت الحي الساكن بعد مغيب الشمس بيت أحدهم جلب ما طاب ولذ.. و استدعى جمعا من الناس اختلفوا جنسا و سنا ..لكن السكون لم يلج البيت بقدومهم..لعل الحاضرين لم يعرفوا أو ربما يعرفون و تناسوا أن حينا عادة يكون هادئا في ذلك الوقت من النهار..و حتى المواضيع التي طرحت يمكن للمنازل المحاذية لجارنا أن يتابعوها جيدا فالأصوات كانت مسموعة جدا و جلية..ثم و على غير العادة تعالت أصوات أطفال اختلفت أعمارهم و تنوع جنسهم و كانوا خارج ذلك البيت ..إنهم يلعبون و لعبهم يثير الضجيج..هههه..تلك نواميسهم و قوانينهم..داخل البيت مازالت الأصوات عالية و مازلت قادرا على أن تتابع كل ما يدور فيه لكنك لست قادرا على الإدلاء برأيك فلن يسمعك أحد..لكنك تريد أن تقول شيئا فلك رأي قد يفيد و قد يسهم في حل المشكل المطروح..أبدا لا مجال لذلك..من حين لآخر تسمع أنهم اتفقوا فتغضب لأنك لست موافقا على صيغة الاتفاق ووددت لو يسمعك أحدهم فيتغير ما اتفق عليه أولئك..لم يطلبوا رأيك فهل ستتعسف على الناس و أنت غير مدعو لتكون معهم في الحقيقة الموضوع و كل المواضيع التي يمكن

أن تطرح في بيت ذاك الجار يمكنك أن تدلي فيها بدلوك فرفاهيته تهمك و العكس سيجعلك مستاءا و قد يضرك..فما بال الأطفال يلعبون و يمرحون بلا رقيب و لا حسيب؟ هههههه لقد طردوهم الكبار ليفسح لهم المجال في حديث رائق بدون ضجيج و لا مقاطعة..وحتى لا يسمع الصغار حديث الكبار هههههه..و فاتني أن أتساءل..لماذا اقصيت أنا و أقصي بقية الجيران؟ فقد بلغ إلى مسمعي أن الموضوع يهم الحي و أهله في حين من حضروا اللقاء لم يكونوا كلهم من حينا و لا يعرفون الكثير عنه و عن أهله..واصل الأطفال لعبهم و صياحهم كأن بهم خدر أو أنهم جبروا على اللعب بعيدا عن الكبار إلى حين انتهاء الحوار ..و انتبه بعض الجيران إلى المسألة فسعوا ليعرفوا ما يحاك ضدهم ربما أو ما قد ينالهم من الاتفاقات المبرمة في منزل الجار..فهرع إليهم بعض المؤتمرين يصدونهم و ينددون بهذه المقاطعة و الحال أن ما يدور في الداخل كان لصالحهم ولصالحهم وحدهم و لن يستفيد منه إلا الجيران. عجبا..فلماذا إذا لم تقع دعوتنا ؟ ألأننا لا نعرف مصلحتنا؟ هل تنقصنا المعرفة و الإلمام بما يدور في الحي؟ المفروض هي مصلحتنا و نحن أدرى بها..و المفروض أن أي موضوع حول الحي تقع مناقشته من طرف أهل الحي ..أرى أن الخطأ فينا و ليس في الجار و ليس في الناس الغريبة عن الحي..يجب ألا نسمح لجارنا و مدعويه أن يتفاوضوا فيما يهمنا ويجب أن يكف الصغار عن اللعب ليهتموا هم أيضا بما قد يهمهم حاضرا أو مستقبلا..و السبيل إلى ذلك هو أن نعتاد على عدم إهمال الحي و ما يدور فيه ..والسبيل إلى ذلك أيضا هو أن نستدعي كل من يهمه الأمر في الحي ..الصغير و الكبير و كل من ينتمي إليه دما و لحما و وجدانا...

هل سنتغيّر؟

ستبزغ شمس سنة جديدة وتأفل شمس سنة ستمضي بما حملته إلينا وبما فعلناه نحن، فماذا ننتظر من هذه السنة القادمة؟مضت سنة على انقاض سنة خلت من قبلها والّتي بدورها كانت على انقاض أخرى وكلّ سنة هي عبارة عن درس وجب أن نتعلّم منه الكثير. السّنة الّتي على أبواب الخروج كانت هي أيضا درسا والمفروض أنّنا استوعبناه واتخذنا من التّدابير ما يجعلنا قادرين على مواجهة سنة قد تكون مثيلة لها. كانت درسا لأنّنا احتفلنا بقدومها كلّ على طريقته. وفرحنا بمضيّ سنة قبلها كانت صعبة بكلّ المقاييس. احتفلنا بهذه السنة ورجونا أو تمنّينا أن نتخلّص من همومنا ومن تشرّدنا ومن اختلافاتنا حول قشّة أوحول تفاهات. فنحن اختلفنا حول " موسى الحاج او الحاج موسى " وجعلناها أولويّة وصار كلّ منّا ينتصر لما قد قال في هذه التّفاهة ويجمع حولها النّاس ثمّ يعدّ العدّة ليناظر غيره . في هذه السّنة بدونا بدائيّين همج عندما احتاجتنا محنة المرض والفقر ووقفنا مكتوفي الأيدي ننتظر حسنة من غيرنا في حين كانت لدينا إمكانيات بشريّة متاحة ولم نستغلّها على الوجه الصّحيح أو قل لم نسمح لها بإظهار قدراتها. لقد تركنا ما يجمعنا وهو البلد ومحنه ورحنا ننبش في المهملات والنّفايات فنجعلها قضيّة وطنيّة تستوجب الوقوف عندها والتّخطيط لتناولها بحزم

حتّى أنّ البعض فهم أنّ القمامة تخدم الوطن فاستوردها وبكميّات كبيرة علّها تفي بالحاجة المطلوبة. في هذه السّنة اكتشفنا مواهب في السّباب والعراك والمناقشة بقبضة اليدين لا بلغة اللّسان والشفتين. وأكثر من ذلك فقد بعثنا بتوحيهات للنّاس نعلّمهم كيف نكره البلد وأهله وكيف يجب أن نفتكّ ما لنا وما لغيرنا وأن نتصارع من أجل ذلك. وفي هذه السنة أيضا صيغت قوانين على مقاس أناس دون سواها ولم يظفر البقيّة إلاّ بالفتاة ممّا لا يسمح لهم بتغيير واقعهم وممّا لن يسمح بتغيير واقع البلد وما تعانيه. وفي المقابل، هل تقدّمنا أو هل سنتقدّم ؟ هل حاز النّاس في بلدنا على ما يجعلهم مستقرّين ومطمئنّين؟ هل عدل شبابنا عن فكرة الهروب من البلد؟ هل هناك بشائر حقيقيّة تعلمنا أنّنا اسنوعبنا الدّرس وأنّنا اهتدينا إلى حلول نابعة من طبيعة مشاكلنا؟ هل سنتغيّر نحو الأفضل واضعين صوب أعيننا تطوير البلد وجعل النّاس يستغلّون الإمكانيّات المتاحة فيه للحيلولة دون الرّجوع إلى الماضي؟

هل أخطأنا؟

اعصبوها برؤوسنا وقولوا أخطأتم ولن نخذلكم سنقول نعم أخطأنا. تجاهلونا ما استطعتم فسوف لن نقلقكم بهتافاتنا من أجل تنبيهكم . اسجنونا فنحن قد نتمرّد ونبطل اتفاقنا معكم. حاكمونا وادعوا شهداءكم منّا إن شئتم فسوف نشهد على أنفسنا حتّى يستقيم لكم حبك القضيّة. اقطعوا الطّريق أمامنا حتّى لا نبرم اتفاقات قد تؤذيكم أو تفسخ ما أبرمنا معكم . سفّهونا أمام كلّ الدّنيا... بعد هذا اسمحوا لنا ببعض الأسئلة . هل تنامون على فرشكم وأنتم مستقرّين؟ هل ترون أحلاما لذيذة فتستيقظون مرتاحي البال؟ هل ترون أنّكم وفيتم بما وعدتم به حين التقينا وبذلك "حكمتم فعدلتم فنمتم"؟ أما نحن فسنبكي وقد تعوّدنا ذلك ولكنّ دموعنا ستريحنا وتجعلنا نعيد حسابات أخطأنا في وضعها. سوف نمشي حفاة عراة لكنّ خطواتنا ستبعث الخوف والحيرة فيمن كان سببا وتزعزع راحته. سوف نجوع ونمرض إلى حين بيد أنّ أنيننا وتأوّهنا سوف يربك الأيادي الّتي سرقت أكلنا وشربنا ورداءنا وسوف تصيب كلّ سارق بالصّمم فالسّارق يتسلّل في اللّيل ليسرق ونحن أنيننا لا بتوقّف لا ليلا ولا نهارا . سوف نضطرب وتتلاطم أفكارنا ومشاعرنا على مدى بعض الوقت لكنّنا سوف نتدارك وسوف نقف قائمين..واعين.. منتصبين ونتّزن . ها قد سجّلنا اعترافنا وننتظر إجابات عن

أسئلتنا السّاذجة بالنّسبة لتقديراتكم لكنّها تحسم الكثير لدينا فنحن نؤمن براحة النّفس عند فعلنا ونحتسب راحة الضّمير من ضمن مقوّمات العمل النّاجح. ونحن عندما نعد لا نرتدّ عن وعودنا وعندما نؤتمن لا نخون. نحن إذا ما جمعتنا شربة ماء مع أحدهم فقد جمعنا ميثاق وعهد . تعلّمنا منذ ألعاب الصّغر أن نحتكم لقانون يسيّر لعبنا "ومن شبّ على شيء شاب عليه" ومن ثمّة أخطأنا في حساباتنا فنحن اعتبرنا كلّ المحيطين بنا من نفس طينتنا.

نحن دعاة فرح

نأتي إلى الدّنيا و قد تهلّلت أسارير الأهل و أقاموا الأفراح و توسّموا الخير . نفتح أجنحتنا و نستقبل الحياة بكلّ الفرح و نتزيّن ثمّ نطير محلّقين بين ثناياها. فنبشّر العالم أنّنا سنعيش بسلام و نبعث الفرح ونعمّر كلّ فراغ بما يليق به و بأهله من شدو وبهجة. ثمّ نكبر ونفهم فتثقل أجنحتنا و تتباطؤ حركتنا ولكنّنا نواصل التّحليق لأنّنا وعدنا المحيط بالفرح و الزّينة والحياة.. نرتطم أثناء رحلتنا بسحب تنوّعت بين خفيفة وكثيفة لكنّنا نصمد و نواجه من أجل وعودنا ورغم صعوبة المواجهة نظلّ على الدّرب. ويتواصل فرح الأهل بنا وبزينتنا وبالنّور الّذي أضفيناه على ظلمات كانت تعتّم فضاءاتهم. كنّا أثناء رحلتنا نواجه الصّدمات والكدمات لكنّنا كنّا نعتبرها من تدبير الطّبيعة فنصبر ونحوّل الصّعب سهلا والعاتم منيرا ونمضي إلى ما بعده حتّى نسهّل الحياة علينا وعلى غيرنا وبهذا تتواصل نشوتنا بما قمنا به وبوجودنا في ايّ خضمّ فلا نرتبك ولا نخطئ ولا تستسلم أجنحتنا رغم ما أصابها من كلل وإرهاق. واثناء

رحلاتنا كنّا دائما نتحاشى الظلمات ونبحث في الزّوايا المضيئة كأنّنا نبات يستقي صلابته ونموّه من النّور . لم تثننا العواصف ولا الزّمهرير ولا حرارة الشّمس عن مواصلة المسيرة بل كنّا دائما نجد سبيلا للفرح والعيش والأعراس. لم نكن أبدا نعرف أنّنا بذلك نغيض أعداء أو متربّصين. فنحن لا نكنّ البغضاء والحقد ولا العداوة لأيّ كان. كنّا ننشد الحياة للكلّ..كنّا نبعث الفرح أينما حللنا..كنّا ننشد الفرح للكلّ..كنّا نبحث عن سبب وسبيل يجمع الكلّ..

لم تكن لنا صلة بما يغيض النّاس لأنّنا دعاة بهجة..لأنّنا دعاة حياة. لم نتربّ على الدّسائس والمكائد فلم نحسب لها حسابا..لكنّ الحقيقة مرّة ففرحنا يحزن غيرنا ويبعث فيهم حبّ الانتقام وليتنا نعرف السّبب. أعداء الحياة كانوا دائما متربّصين بنا وبفرحنا وليتنا نعرف السّبب ونحن اردنا لهم الحياة والفرح.. كانوا كلّما زرعنا فرحا اقتلعوه ..كلّما أنرنا دربا عتّموه..كانوا كلّما غرسنا سببا للبسمة سكبوا عليه مبيدا فأباده واحرقه حتّى لا تتواصل البسمة..والنّهاية كلّما أحببنا البلد وطّنوا فيها سببا لنهجرها...ولكن لا وألف لا..لن تستسلم أجنحتنا..لن تغيب بسمتنا..ولن نهجر أعشاشنا.وأمّي ستنجب غيري وستتواصل فرحتها ودعوتنا للفرح لن تسكتوها والنّور الّذي بعثناه في المدينة لن ينطفئ..

في الهواء الطلق

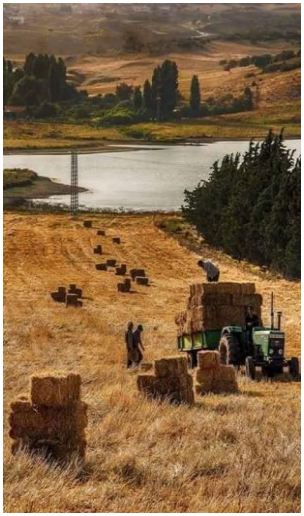

الزمن هو نهاية الصيف و قبل بدايات الخريف..و الوقت هو عندما أضرمت الشمس نارها في مجال بزوغها..وضيعةالحبوب كانت مسرحا لأحداث قصتنا بدا الأبطال فيها غير مشهورين و لم تشملهم أدوار يعرفون فيها غير هذا الدور الذي لزمهم طوال حياتهم فلم و لن يتبناهم منتج سوى هذا الذي دأب على انتدابهم منذ وقت طويل . جلبت الآلة الحاصدة لتجمع محصول القمح و تعليبه في أكياس و هيأت المسرح لهؤلاء الممثلين ليلعبوا دورهم و ليؤثثوا ركحهم بما يتماشى مع ما سيطرحونه .. يجمع الممثلون التبن و يرصفوته على العربة المجرورة و بقدر ما يبذلونه من جهد بقدر ما يرضى عنهم صاحب العمل و بقدر تقديره لعملهم يكون تأجيرهم مقابلا له.. تجري المسرحية في مسرحا و في جو حار يغني عن أي تعليق وعن أي تفاعل من طرف المتفرجين ..أدوارهم ليست في متناول كل الناس و ليس من هب و دب يفهم فيها أو قادرا على أدائها..و أدوارهم لا تثمن

و لا تقدر إلا من طرف من انتدبهم و راح تحت الظلال يراقبهم و يثمن حركاتهم و سكناتهم و مدى تفاعلهم الجسدي و الوجداني و حتى هذا "السيد" يفقه أشياء و تغيب عنه أخرى فهي قيمية بالأساس.. دور هؤلاء قد يراه البعض بسيطا إلى حد السذاجة و لكنه يتعدى حدود تقديراتهم و تقديراتنا.. إذ أن كل حركة لها معنى و كل صوت له دلالة ..و حبات العرق المتصببة من جباههم هي المغزى الحقيقي و الرسالة الكامنة وراء كل العمل الذي يقومون به.. الحركة صراع ضد الجوع و الفقر و المرض..و هي أيضا درء للتهاون و التكاسل و التواكل. و الأصوات المنبعثة من هنا و هناك هي مقاومة الضعف و تحفيز للهمم و نداء للنهوض نحو بذل الجهد و مزيد من بذل الجهد و الصمود أمام الصعاب و العراقيل..أما العرق فهو غسل أدران التهاون و محاربة وجع استسهال لقمة العيش و الوقوف أمام باب المساجد أو التسكع بين طاولات المقاهي طلبا للمعونة والحسنى..و العرق أيضا معناه الحياة ..ومعناه استبعاد الاستقواء بالآخر..معناه الاعتماد على النفس و التعلق بالأرض وحبها.. و العرق فوق الأرض هو انتماء و هو أيضا راية ترفع ضد كل من كسب فلسا واحدا دون عرق سال فوق الأرض..يقوم هؤلاء بدورهم و يتقاضون أجرا لا يثمن في حقيقة الأمر ما بذلوه من جهد..لكنهم مع ذلك يصرون على دورهم و لعبه بكل فخر ..فيكفيهم أنهم أصحاب فضل على عائلاتهم و على كل البلد و ربما بلدان أخرى..يأكل هؤلاء من عمل أيديهم و يسهمون في غذاء آخرين و لا ينتظرون شكرا و لا جزاءا يثمن عملهم و آدائهم البطولي..كان الظل بجانبهم و لم يستظلوا..وكان الوادي

بجانبهم ولم يرتموا فيه ليقوا أجسامهم من الحر فهذا يخرج عن إطار نص مسرحيتهم و يحيدون بذلك عن مغزى أدوارهم و معناها ..اما عن انارة المشاهد فلا يوجد في الحقيقة سوى ضوء وحيد لا غيره ولا يمكن أن تمل المشاهد رغم ذلك فقد لونوا مسرحيتهم بحركتهم وأصواتهم و أهازيجهم ..أما عن الجمهور الذي سيشجع أو يثمن فسيكون دوره بعد نهاية العمل كاملا و عندما يجلس إلى طاولة طعامه أو عندما يكون حيال شياهه أو أبقاره أو في السوق عندما يكون بصدد البحث عن مادة هو في حاجة لها...

صرخة طفل

قدري أن أواجه عدوّي بيدين معزولتين وأن أصرخ في وجهه بمفردي فقد تخلّى عنّي كلّ من كنت أظنّه سوف يحمي ظهري مهما افترقنا. لكن لا يهم سأسلب راحة المعتدي واطمئنانه ولن يعنيني أبدا حجمي وسنّي سأظلّ شوكة في حلقه..سأظلّ صرخة تحرمه السّكون..سأظلّ أزلزل الأرض تحت قدميه. أرضي نبتّ منها وامتدّت جذوري فيها ولا يسعني التخلّي عنها ولو على جثّتي . قد أصرخ وقد تدمع عيناي ليس من خوف او عجز . صرختي هي زئير الأسد مدافعا عن عرينه ودمعتي هي دمعة أرضي الّتي دنّست فاستاءت واشتاقت لحميّة الكرامة والشّهامة. سوف أجوب الشّوارع السّاكنة لأبعث فيها حماستي و حرقتي فتنتفض وتشتعل براكينها. سأكون و رفقتي كما "طير الأبابيل" و ستكون حجارتنا من" سجّيل" ونجعل من الغاصب عصفا مأكولا. قفوا أنتم هناك متفرّجين وقد لا نسمح لكم حتّى بالفرجة فالبقاع احتجزتها حجارتنا و مقاليعنا. اركضوا إلى سطوحكم فقد تفوزون بمقعد. تراجعوا قدر ما تستطيعون فقد يؤلمكم صراخنا أو يكون نشازا على آذانكم الّتي اعتادت على أصوات الطّبل و المزمار التي لا نجيدها نحن .اذ ابتلينا بحبّ البلد و الذّود عنها وليس لدينا ما نخسره أمّا أنتم فقد يغضب منكم ساداتكم إن تلفّظتم بما يسيء لهم أو يمسّ مشاعرهم .

نحن بذرة عتيقة من عهد عنترة بن شدّاد تسري فينا دماء النّبل و الاعتزاز بالانتماء كما تسبقنا أيادينا لتصدّ الغصب و العدوان لكن ابحثوا عن منبتكم أنتم فربّما إلى أولئك يعود . ستكون أبوابنا موصدة أمام كلّ طارق مجهول الهويّة لنحفظ ماء الوجه و لنصون عرض غرف نومنا ونبقى أسودا كما كنّا دائما. ولكن اسألوا عمّن غطّ في نومه وباب غرفته ظلّ مفتوحا سهوا أو عنوة. صرختي و من معي ستتواصل ويوما ما ستدوّن مقامات موسيقيّة نرقص عليها ونتباهى بهكذا رقصة لكن لا يكون لكم فيها مكان فالمرقص صعب التّضاريس وسيرتاده كلّ من تدرّب عليه فقط و هؤلاء هم حميّة الكرامة والشّهامة فابحثوا لكم منذ الآن عن ملجإ..

دعوة مفتوحة

موعدنا سيكون بعد العرس بعد أن تنفض الحفلة و يستفيق الناس من غمرة الضجيج و تستعيد الطرقات ألوانها و حركتها العادية.. موعدنا يوم تنطفئ الشموع التي كانت قد أضاءت ما أرادوه أن يظهر للعيان و أخفت ما يريدونه بعيدا عن الصورة إلى حين فالشموع لا تنير كل المحيط بها.. يومها سيعود للعيون بصرها و للعقول بصائرها..و يومها سنقف على أطلال بعض الأشهر المنقضية بعيدا عن الضوضاء و بعيدا عن المغريات التي قد تكون أخذتنا أخذا فنسينا ما علينا فعله ..زمن الحفلة عادة نكون في حالة غير عادية و تأخذنا المشاهد و تسحرنا الألسن فلا نستطيع أن نميز الغث من السمين و لا الأبيض من الأسود فالأحداث ستكون متداخلة و تمر بسرعة. كما أن المشهد كله سيكون على قدر من البهرجة فيسقطنا في الالتباس و التشويش و قد يكون ذلك مقصودا من طرف القائمين على الحفل..وقتها لن نميز و لا يمكن أن نميز طالما لم نستعد لمشاهدة الحفلة من خارجها بل سنكون في خضمها فتغمرنا ..و هذا عادي و منطقي طالما اخترنا أو زحزح بنا نحو خيار قد نكون بعيدين عنه إذا ما وقفنا خارج المشهد لتظهر لنا الصورة كاملة ونحن خارج الصورة أما و نحن داخل المشهد فسنلعب دورا..نريد أن نلعب دورا و دورا أساسيا و لو أني أمقت هذه

الكلمة و أستبعدها عن فعل الإنسان داخل مجموعته..فكل فعل هو بصمة لها آثار و كل أثر يغير بالضرورة و بدونه تقف عجلة المرور إلى الأمام إلى حين قيام ذلك الفعل..بذلك تنتفي صفة الأساسي و غير الأساسي على فعل الإنسان ضمن وسطه و مجموعته..دورنا أن نحتفل مع الناس بعد أن نفهم وبعد أن نتخذ مكانا و صفة اخترناهما ..نريد دورا حددناه بعد قراءة المشهد و اختيار ما نطمئن إليه حتى إذا ما وقفنا على أطلال الحفلة نكون راضين على ما اسهمنا به فيها ..وحتى إذا ما عادت إلينا السكينة ننام دون أوجاع و دون آلام تأنيب الضمير و الحسرة على ما فات و نحن المتسببون فيه..دورنا بالمعنى الاجتماعي للكلمة أساسي و مهم طالما اردنا اختيار العريس المناسب للعروس التي احبها كل الناس و كل أحبها بطريقته و كل أراد لها أن تكون على هذه الشاكلة أو تلك ليحلو عيشه معها على الشاكلة التي أراد ..و بالعودة إلى دورنا في هذه الحفلة ..عروسنا تخلت عن دورها في اختيار العريس المناسب لها والذي تكون قد أحبته دون أن تلفظ اسمه و دون أن تصارحه بحبها و تركت لأهلها أن يقرروا بدلا عنها و هذا لثقتها في أننا نعرف من هو حبيبها و من هو فارس أحلامها . وثقت فينا عدة مرات وخذلناها في كل مرة منها. سلمت لنا أمرها عسانا نثلج صدرها و نسكن جراح بعدها عن حبيبها. عروسنا أصيلة تريد لنا السعادة من خلال سعادتها بمن هو حقيق بها و بمصاهرتنا . لقد بعثت لنا الرسالة تلو الرسالة تثني فيها على حبيبها و تحذرنا ممن خاتلها وخاتلنا ليفوز بها لكنه لن يسعدها و لن نكون سعداء بمن اخترنا و اعتقدت أن الصورة مهما تلاعبوا بها

و مهما غيروا في نسجها هي واضحة.. لذا سنكون مسؤولين عن مستقبل العروس مع عريسها فقد يختار لها عيشة لا ترضينا نحن من بعد في حين لم نتدخل منذ البداية و الحال أن الصورة واضحة لمن أراد أن يرى بوضوح و شهدنا على القران بعين مغمضة بينما كان الأمر يستدعي صحوة و عيونا مفتوحة على قدر أهمية الموقف..سنكون مسؤولين عن أي مولود بعد العرس و عن حياة العروس و مولودها ..فلنلعب دورا لا نندم على لعبه بعد فوات الأوان فكم رقصنا في أعراس و فرحنا ثم انقلبت إلى جنائز أبكتنا على مدى من الزمن...

على حافة الموت

وقف على حافة الموت و قبل أن يستسلم إلى حتفه راح يستحضر حياته الماضية..خرج من البيضة أين كان حبيس الظلمة و العجز فهي بالكاد تسعه وكان لازال يغطي جسمه جلده الأحمر الطري .فتح عينيه على الطبيعة من حوله فإذا هو في عش تحيط به الفرحة و الألوان الزاهية مع الأشكال المختلفة..تختلف الألوان من حوله و تتعدد الأصوات لكنه يميز صوت أمه و ابيه و شكلهما من بين أصوات بقية المحيطين به و أشكالهم كلما أتيا يعلمانه بقدومهما لتغذيته و احتضانه وبعث الدفء و القوة فيه حتى ينمو في كنفهما.. فهما يتداولان على جلب المؤونة من الجوار أو حتى من بعيد ويتكبدان المشقة لتأمين بقائه على قيد الحياة .. و تمر الأيام رويدا رويدا فينمو على جسم الفرخ خلالها ريش ناعم حريري و تكبر لديه ملكة تدبر أمره بنفسه شيئا فشيئا. فيبدأ بالتجرؤ على الوقوف على حافة العش و يحرك جناحيه

الذين لازالا غير قادرين على حمله و على الطيران به و الأبوان يلازمانه و يحثانه على المحاولة و مزيد المحاولة حتى يطمئنا على مصيره..و كان في تلك الفترة يستقبل والديه بأصوات يفهمان منها حاجته إليهما فيلبيانها له. و مع تقدم الأيام يتنامى الريش على جسم ذلك الفرخ و يستعد للطيران و الخروج من تحت جناحي أمه و أبيه ليأتي بقوته بمفرده . يتذكر طائرنا أيضا أنه بعد خروجه من العش أصبح حرا طليقا يأكل من حيث شاء و يشرب من حيث ينعم و استقل عن ابويه .. صار يطارد وتقع مطاردته ..يحلق و يغني انى شاء ويتنافس في ذلك مع أمثاله فيغطون الأفق بأشكالهم و تصاميم اجنحتهم المفتوحة للفضاء تعانقه و تزينه ..و تتصاعد أصوات غنائهم لتزيد للأفق بهجة و بهاء.. و تذكر كيف كانت ألوانه مدعاة لافتخاره بنفسه و سببا لحب الناس للطبيعة .. و كان وجوده فرحة للصغار و الكبار و ذاك ما كان يزيد في فرحته و اعتداده بنفسه.. يكبر و تجمعه طبيعته وجبلته بأنثى انجذبت لفحولته و جماله فأعطيا فراخا زينت الطبيعة أكثر فأكثر .. وفعل الطائر في المكان و الزمان وغير ما استطاع بما ييسر له و للمحيطين به الحياة. رقص و راقص الأيام بحرها و قرها. فانتصر في محطات من الحياة و خاب في أخرى لكنه حافظ على بقائه سالما. انتظر الكثير أو حتى القليل مما يساعده على يسر البقاء ليعطي أكثر . لكنه كلما تقدم وجد عراقيل و مطبات تعيقه إلى حين فيتدارك و ينهض ليواصل .ثم ها هو من جديد يتقيد و يرتد حبيسا.. فقد ألوانه التي كانت تزينه و تبعث فيه رغبة جامحة في الحياة .. و فقد عنفوانه الذي تجرأ به على الصعاب و تجرأ به على المجهول وجعله يصنع

حياة تخصه ..و به تدرب على عبور المسافات و قهر الأقاصي..فقد جناحيه الذين كانا يحررانه من قيود المكان و يجعلانه فوق الطوق و فوق كل المكابح .. وها هو في اخر الأمر على حافة الموت لأنه يريد ان يتخلص من ظروفه التي قيدته بحبال غليظة و متينة تكاد تفتت جسده ..فقرر ان ينهي حياته و لا يتركها للظروف لتعبث به..ثم انتبه صديقنا إلى أن الظروف هو ضالع في صنعها فراح يتفقد مواطن أخطائه و إساءاته فاستخلص أن الخطأ ليس سببا لينهار بل هو درس تبنى عليه أفعال المستقبل و فهم أن السقوط هو إساءة عندما نستسلم إليه و هو دافع للتقدم إذا ما عرفنا سببه . تلك القيود كانت أوهاما عاشها طائرنا لأن قواه خارت أمام بعض العقبات الحادة و ريشه لم يفقد ألوانه الزاهية بل اعتلته وساوس الكآبة و الاستكانة فلم يعد يراها على حقيقتها و حتى جناحاه مازالا على حالهما الأول إنما أصابها الوهن و الكسل لأن طائرنا نسي تحريكهما وقت اللزوم فخال أنه فقدهما و الحال أنه لو تذكر قليلا لوجد أنه تجاوز عقبات وعقبات بوقفة جدية و صارمة منه فيجعل القيود من حوله رخوة فيتخلص منها و أنه لو يصدح بصوته العالي المتحدي سوف تخر أمامه ساجدة كل الحواجز التي كانت تعيقه وتثنيه على العيش الكريم ..نعم لقد استدرك أمره من جديد وهاهي القيود تصبح قلادات و أوسمة تزينه ليعود إلى فعله و صلابته و انعتاقه..

المهندس الصغير

كانت أرضا قاحلة لا زرع ولا مرعى فيها ..لا علما ولا حلما يذكرها..أرض سحبت من سجلات الكبار و الصغار فكل أعمالهم في المدينة أو في القرى المجاورة و يلعب الأولاد خارج نطاقها فتضاريسها الانحناءات والمنخفضات و نباتها الشوك و الصبار..ودأب الطفل المهندس على التأمل في محيطها عندما يخرج لملاقات أقرانه..يستدعونه ليلعب الغميضة او الكرة أو ما اتفقوا عليه فيعتذر بحجة مرض أو تعب ليبقى متأملا و مفكرا فهو ماهر جدا في استعمال المتاح و تحويله إلى تحفة فنية أو إلى آنية أو آلة مفيدة ..تأمل الطفل الأرض و بدأ يحلم بمستقبل تزدهر فيه المنطقة ويسهل فيها توفير جل المرافق التي حرمت منها وهي لدى اهالي المنطقة من قبيل الخيال وصعب المنال..حيث يقطن صديقنا لا يوجد طريق واحد معبد يسهل عليهم التنقل بالسيارة او الدراجة و لاحتى بالتنقل بسهولة على أقدامهم فرسم الطفل حلمه على الطبيعة و أظهر براعة غير مسبوقة في التعامل مع واقع

تضاريسهم ..رسم طريقا ذهابا و إيابا تمر فوق أخرى لكنها طريق سيارة تسمح بمرور ستة سيارات متحاذية ..ولم ينس حلمه في الخضرة وجمال المنظر الطبيعي فقد جعل على جوانب هذه الطرقات أشجار متقايسة البعد بين بعضها البعض هذا لكي يحافظ على سلامة البيئة من جانب و ليضفي على المكان جمالا يرغب الناس فيه و المكوث به من جانب آخر.. ثم جلس المهندس بجانب انتاجه جلسة القرفصاء و كأنه يبصم عليه و حتى لا يؤخذ منه..أو كأنه يريد أن يبعث برسالة إلى من تناسوا هذه المنطقة و همشوها و يقول لهم إنه يمكن تسهيل العيش على الناس فيها ويمكن تحبيبهم في المكان ليعودوا و يمكثوا وينموه..هذا المكان يمكن اعماره و زرع معنى الحياة فيه ..تقمص صديقنا دور من عليه معالجة مشاكل و مصاعب حياة الناس فأفحمهم بحلمه البسيط وانتاجه البريء لكنه عملاق ..فمن حق هذا الطفل ان يدرس في ظروف ملائمة حتى لا يختلف عمن سواه في مناطق أخرى ..من حق أهالي منطقة صديقنا الحصول على مرافق الحياة بأسهل ما يمكن حتى يلتفتوا إلى جوانب أخرى تخصهم و تخص البلد..هذا الرسم هو عبارة عن حلم لكنه رسالة و رسالة حادة اللهجة قد لا يقصدها الطفل بحكم سنه ولكننا نقصدها ونمررها..فالحياة إذا ما يسرت على الناس تصبح نعمة عليهم هم ولكنها ايضا نعمة على البلد. فحبنا للبلد لا يختلف فيه اثنان و لكن أن يصبر شخص على الشقاء طول حياته دون أن ينصف حتى في آخر عمره في حين ينعم الآخر بكل الرخاء ثم يكرم لفعل قد يكون قصده او لأمر يكون فيه مكره أخاك لا بطل فالمعادلة لا تستقيم . أن يموت الأول ألف مرة

في اليوم حسرة..ندما..قهرا..ذلا..فقرا..جوعا..في حين يتفوق الثاني في كل حين مالا.. جاها.. هدايا..تكريم.. سفر..أكل ..لبس.. فسيان بين هذا وذاك وهل تصح المقارنة أصلا..ثم نطلب من كليهما حب البلد وحمايتها و الذود عنها..جلس المهندس الصغير بجانب فكرته ليحميها ولكن كيف له ذلك و الشتاء قادم؟ ..كيف له ذلك و الرسم فكرة ليس له بما يحولها إلى واقع. سيعبث بها أو تخطف منه و تحول وجهتها..هل من السهل مطالبة هذا الطفل بحماية البلد في جهته وهو يخشى حتى على أحلامه ان تصادر أو ان تمحي؟ هل نطالبه بالتألق والمثابرة و هو يحلم بطريق معبدة تسهل عليه الذهاب إلى المدرسة في القرية المجاورة؟ ثم هل نلومه و عائلته ان فكروا يوما في اخلاء هذه الأرض و تركها مرتعا لمن هب و دب ....؟

ملك خاصّ؟

ذهب إلى صديقه يشكو سلوك أحد جيرانه الّذي كان مولعا بفتح آلة تسجيل بصوت عال يكاد يسمع تقريبا في كلّ أرجاء الحيّ . قد يكون الجار أراد أن يبعث في النّاس نشاط بداية اليوم وقد يكون فعله رسالة مضمونة الوصول إلى من يهمّه الأمر . كان الحيّ صغيرا والمنازل الّتي أثّثته متلاصقة جدّا بحيث لا يمكن أن تنفرد بخيالك ومشاعرك وأفكارك إلّا إذا غاب هذا الجار لبعض الشّؤون أو عندما يكون نائما . صاحبنا كان دائما يصطحب كتابا أو قصّة ودفترا يسجّل به عبارة أعجبته أو كلمة راقت له أو لم يفهمها أراد أن يبحث عن معناها لاحقا. وقد يكتب بعضا من ذاكرته عل دفتره . ثمّ إنّه من المبدعين فقد يتأثّر بمشهد فيكتب حوله ما قد يوحي به له. شكوى صديقنا تمثّلت في أنّ الضّجيج المحدث من آلة التّسجيل يمنعه من التّركيز. وكاد يؤول به الأمر إلى ترك ذلك الحيّ والبحث عن غيره حيث يمكنه أن ينفرد بما يحمل دائما في يده وما كان يستبطنه من ذكريات وموهبة في الكتابة. وصديقه صاحب نكتة ونباهة ولا يخلو فكره من تحاليل علميّة وفلسفيّة، تتمازج كلّ هذه الصّفات معا لتصنع منه رجلا يستطاب الحديث معه ويقنع مستمعيه بما يدلي به من جهة ويبعث فيهم البسمة مهما كانت حالتهم من جهة ثانية. فبعد أن استمع إلى شكوى صديقنا ابتسم وقال" ألم تعرف عن السّلوك الحيوانيّ في حيازة المكان؟ " فأجاب صديقنا بضحكة

يفهم منها أنّه لم يرتق إلى مغزى إجابة صديقه. فأردف صديقه قائلا " أردتك أن تعلم أن الحيوان يحوز المكان برائحة تبوّله فيه ونشر ذلك على المحيط. وجارك يا صديقي أرادك أن تعلم أنّه سيّد الحيّ ورقم واحد فيه لذلك هو يفعل ما يريد وانت عليك أن تقبل منه كلّ شيء لأنّك في ملكه ولو لم تكن صاحب أخلاق تروق له لطردك مثلما يفعل أيّ حيوان وهو يريد حيازة المكان." صاحبنا لم يعجبه التشبيه فقال :" ليس لهذا الحدّ يا رجل" فيجيبه : " أراك لم تفهمني بعد..سلوك الحيوان في حيازة المكان جبلّة فيه وهو بذلك يعيش ويتواصل نسله. أمّا جارك فلم أصفه بالحيوان ولكنّه حاز الحيّ بسلوك حيوانيّ قد لا يعيه ولكنّه فعل. وهو في ذلك ليس الوحيد فلنا في مشاهدنا اليوميّة ما هو أتعس وبإرادة أصحاب السّلوك ذاك. ثمّ كيف لك أن تعرف أنّ جارك حيّ يرزق إن لم تسمع صوت الرّاديو؟ وكيف لك أن تهتدي إلى حيّك إذا غاب صوت الرّاديو؟هههههه" فهم صديقنا واسترسل في الضّحك قائلا لصديقه:" صدقت ..صدقت" ثمّ استدرك قد فهمنا سلوك الجار وبمجرّد أن أتواصل معه سوف أطلب منه بلطف أن يسمح لي بحيازة منزلي ومحيطه على الأقلّ. لكن ماذا عن هذه المشاهد الّتي تماثلت مع سلوك جاري؟" رجع صديقه إلى الجادّة وقال:" ألم ترى أنّ الأخبار تطالعنا يوميّا بمن يرى أنّ البلد ملك له وحده ويحقّ له دون سواه أن يصول ويجول فيها وأن يديرها بالشّكل الّذي يستطيبه هو؟ فأين جارك من هذا؟ "

البركان

نظرة حزينة و دمعة حارقة تشقّ خدود الصّغير الّذي فقد كلّ فرحة و فقد صفة الطّفولة منذ نعومته ..أجبر على ترك اللّعب وحمل هموم عائلته والعمل من أجل قوتها..لم يختر حياته ولم يختر اسمه ولم يختر مهنته و هي في الأصل لا تناسب من هم في مثل سنّه. أخافته الصّورة فوقف متسمّرا ينتظر نهاية المشهد ليقول لماذا الصّورة؟ لماذا لم تكن هذه الصّورة و أنا على مقعد الدّراسة؟ لماذا لم تأتوا من قبل عندما كانوا ينادونني طفلا؟ حينها كنت ألعب و أعرف معنى اللّعب و متعته .. و كنت نظيفا و أرتدي ملابسا تليق بسنّي و بصفتي. كنت وسيما وتصلح ملامحي لتوضع على الصّفحات الأولى من مجلاّتكم .و كنت أعرف أحمد و سامي و سلمى و ..و ..وكنّا نلعب ونثير ضجّة تبهج الآباء و الأمّهات و يتباهون بنا لدى الجيران

و الأقارب. أمّا و قد ودّعت ساحة اللّعب وصرت عاملا كادحا فأنا أظلّ مجرّد رقم في ملفّ من ملفّاتكم يصعد و ينزل حسب استطلاعاتكم و استطلاعات آراء "جنودكم" فما جدوى صوركم و تعليقاتكم؟.. دموعه كانت تحمل معاني كثيرة و تستدعي قراءتها من وجهة نظر الطّفولة الّتي ماعادت في الحقيقة تحمل هذه الصّفة مذ خشنت أيديها و تصلّبت أطرافها فهي لم تنم بعد لنسميّها سواعد..دموع هذا الطّفل معناها الخوف من الآت..معناها الحسرة والحرقة على ما فات و ما تعيشه الطّفولة..معنى هذه الدّموع حيرة وتساؤل حول سبب مأساة الطّفولة في مناطق عديدة من بلدي وعدّة بلدان في العالم..و هذه الدّموع هي رسالة تظلّم لدى من يضع الأرقام ثم يبدلّها حسب حاجة في نفسه و برنامجه..هذه الدّموع صرخة وجع و آلام لا يشعر بها من كان يأخذ صورة للزّينة و يسعى وراء تأثيث ملفّ في كتاب "guinez" لأجمل الصّور و أكثرها رقّة و اكثرها حسّا بالألوان و التّعبير..لن يفهم معنى هذه الدّموع إلاّ من سلب حقّ اللّعب وحقّ البراءة وحقّ المنافسة من أجل رتبة جيّدة في المدرسة و في التّعامل مع الأشكال و الألوان و الحروف المبعثرة فيشكّل بها عالمه وليس العالم الّذي حدّدته له ظروف خارجة عن نطاقه..و حتّى الدّموع عند صانعيها لها ألوان فمنها ما يثير الشّفقة و منها ما يستدعي حضور كبار العلماء و المختصّين في مجال الطّفل و منها للأسف ما يقال عنه هذا ما جناه عليها الكبار و لا أسف و لا شفقة على الباكي بل هذا ما تستحقّه الطّفولة في هذا المكان أو ذاك حتّى لا يسعون وراء حقوق و حاجات فيكبروا و تكبر معهم فيطالبون بها ..أمّا النّظرة البائسة فهي في الحقيقة

على قدر ما تترجم الأسى و الحزن فهي في الآن نفسه تهديد بالجواب على الظّلم.. هذه النّظرة هي رسالة حارقة و قويّة بأنّ المستقبل بالرّغم من أنّه باهت و غير واضح فإنّه يحمل أسرارا تخبّئها الطّفولة المحرومة و المظلومة لحين..هذه النّظرة يا من تريدون أرقاما لحساباتكم سوف لن يسعدكم ما ستؤول إليه ..فنيران البركان و شضاياه تأخذ وقتا تتخمّر فيه قبل ان تندلع و قبل أن تأتي على من لم يعرها اهتماما و لم يحسب لها حسابا وهو الّذي يسجّل كلّ الأرقام الصّاعدة و النّازلة..فهذه العين الباكية هي في الحقيقة عبارة عن بركان و ما الدّموع سوى دفق من صهارة بدأ بالسّيلان ليحرق كلّ الأوراق و الاستطلاعات المزعومة و ليرسي أرضيّة خصبة تصلح لأيّ زرع مفيد و يتسنّى فيها للطّفولة أن تلعب. فالأرضيّة ستكون سهلة و غير صلبة ..حتّى السّقوط فيها لا يخلّف جروحا فهي ناعمة على قدر نعومة الأطفال وتسمح لهم أن يتعلّموا منها و فيها كلّ ما يحتاجه الطّفل في صغره ليصير رجلا أو امرأة وقد تخصب بهم الأرض بعد البركان. و الأشكال الّتي رسمها و لوّنها و الحروف الّتي كتبها تصبح بمثابة الأساس الّذي انبنت عليه صروح المستقبل الّذي هو حاضرها عند ما كبرت

الكاتب فى سطور

الاسم رشدي الخميري
الولادة من مواليد 26 فيفري
1964 البلد تونس
المحافظة جندوبة بالشمال الغربي
التونسي
المهنة مدرّس بالمدارس
الابتدائيّة
متحصّل على الإجازة في اللغة الانجليزية
متحصل على الماجستير في اللغة الانجليزية
له محاولات في الشّعر والقصّة القصيرة والخاطرة
ناشر في عدة مجلات تونسية وعربية
حورية الأدب
مجلة الوجدان الثقافية
مجلة فن الفنون
مجلة الحاء والباء
مجلة وهج الخاطر
مجلة الاتحاد الدولي للمثقفين العرب
مجلة همس الشعراء
صفوة شعراء وكتاب العرب
مجلة بويب للثّقافة والإعلام

مجلة همسات أدبية
مجلة صرخة قلم
مجلة في رحاب الكلمات
مؤسسة عبق الياسمين
منتدى الأدب
والعديد من المجلات الأخرى
التكريمات :
المرتبة الأولى مرتين على التوالي في القصة القصيرة بمجلة الاتحاد الدولي للمثقفين العرب
شهائد شكر وتكريم من قبل جلّ المجلاّت التي أنشر بها
المشاركة في انتاجات ورقيّة والكترونية بمجلة الوجدان الثقافية
منتدى شعاع للأدباء والشعراء العرب
مجلة أحاسيس ومشاعر دافئة
مجلة أقلام مضيئة
مقهى الفن والإبداع
موسوعة اللواء العربي للشعر والأدب
مجلة دار الفكر العربي لغيداء الشام
مجلة عزف الشعراء الثقافية
مجلة ملتقى شذا الياسمين النقي للادب والثقافة
المنتدى الدولي للسلام والمحبة
مجلة روائع لغتنا العربية
مجلة فواصل
مجلة واحة لهمس القوافي وصهيل الكلمات
مجلة جنة الحياة لابداع الشعر

محتوى الكتاب

بطاقة الكتاب 2

اهداء 3

إلى متى تحتجزونها 4

أنا أيضا ابن بلدى 6

خواطر 9

حديث ذو شجون 12

أين ماتعلمناه 14

لا تبعثروا العائلة 17

ينتظرون نزول الثلج ليبرزوا انسانيتهم 19

صورة 21

أعترف 24

أنا والصمت 26

ليتنى مكثت 28

أين النخوة 30

حنين 32
سفر إلى الوطن 34
سفر 36
لن تستمرى حزينة 40
محكمة 42
موعد ورسالة 44
هذيان 47
لمن تؤول الرقعة 50
وينبثق من الأعماق نور 53
الدرس 55
الحلم الطائر 57
المونولوج " "monologue" 60
الحصن 62
جاء العيد 64
خبر مضحك 66
حتى الكلمات تثور 69

فى منزل الجار 71
هل سنتغير 73
هل أخطأنا 75
نحن دعاة فرح 77
فى الهواء الطلق 79
صرخة طفل 82
دعوة مفتوحة 74
على حافة الموت 87
المهندس الصغير 90
ملك خاص 93
البركان 95
الكاتب فى سطور 98
محتوى الكتاب 100